www.an-nidaa.com

النداء

الجمعة 24 شباط 2017 - العدد 308

في رحاب الفكر ...

حسين مروة

دار الفارابي

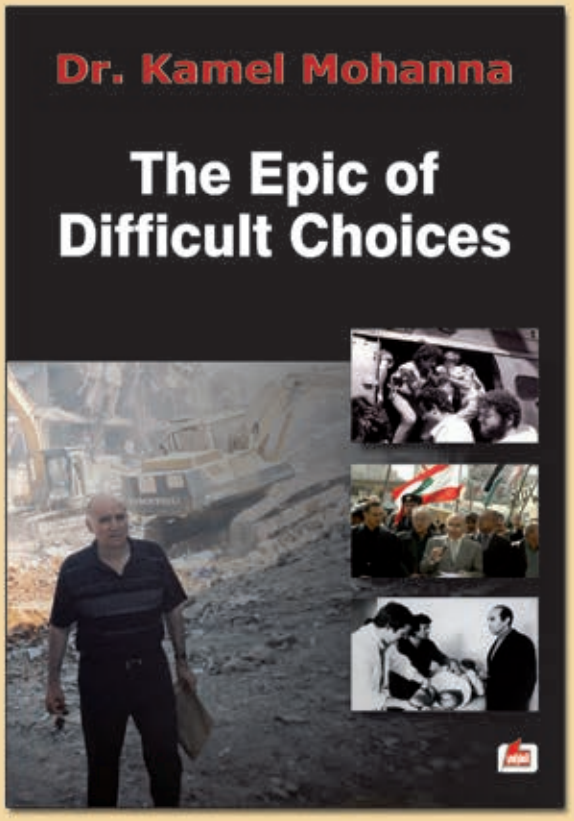

صورة الغلاف: منحوتة للفنان شربل فارس،
تصوير محمد فرّان

النداء - العدد 308 - الجمعة 24 شباط 2017

المدير المسؤول
ملحم أبو رزق

سكرتير تحرير تنفيذي
كاترين ضاهر

ثقافة
احمد عبد اللطيف وهبي

المدير الفني
جبران مصطفى

الادارة والتحرير
لبنان - بيروت، وطى المصيطبة
شارع جبل العرب، مبنى إذاعة صوت الشعب
هاتف: 01/819014 - 01/311809
فاكس: 01/313605
ص.ب: 4744

الموقع الالكتروني
www.an-nidaa.com

البريد الالكتروني
annidaa@gmail.com

ثمن النسخة
في لبنان: 3000 ليرة لبنانية
في سوريا: 60 ليرة سورية

الاشتراك السنوي:
في لبنان: للأفراد 75 الف ليرة لبنانية،
للمؤسسات 150 الف ليرة لبنانية.
في الخارج: 150 دولاراً أميركياً

صدر العدد الأول من جريدة "النداء"
في 21 كانون الثاني 1959

أوّل الكلام راسخاً في فكره...

منذ ثلاثين عاماً، وبمسدس كاتم للصوت، أطلق حماة الجهل رصاصة استقرت في رأس من أدخل النور إلى التراث، ليزيل عنه رواسب سنين طويلة من سيطرة الفكر الرجعي، فعالج التراث انطلاقا من فكره المادي بعد أن كان أسير فكر غيبي..

رصاصة واحدة بكاتم للصوت حاولت إطفاء شعاع حسين مروة، فكانت هذه الرصاصة بمثابة نفخ الروح في قوى القهر التي تجتاح مدناً ومناطق واسعة من عالمنا العربي، مستعيدة كل أساليب الترهيب، حاملة شعارات القتل والذبح والحرق...

بأعوامه الثمانين، ووضعه الصحي الصعب، دخلوا عليه وأطلقوا تلك الرصاصة، لماذا... هل خافوه لهذه الدرجة؟

خافوه لأنه حاربهم حيث يخشون، كشف عنهم ستارهم الذي اختبأوا به، قال لهم لا صراع خارج الصراع الطبقي، والتاريخ تحكمه قوانين محددة فلا مكان لفكركم الغيبي في النظر إليه.

خافوه بسبب إنتاجه الفكري النقدي الاستثنائي، وهو العاملي المعمم المناضل علماً وثقافةً وممارسةً، وهو الذي وصف مسيرته بأنه ولد شيخا ومات طفلاً. فهل حققوا هدفهم من قتل حسين مروة...؟

حسين مروة كان حزبياً ملتزماً حتى الرمق الأخير، وكان يعتبر أن إنتاجه الفكري في التراث هو بالدرجة الأولى نتيجة تكليف حزبي تمكن من التقاط أهمية النظر في هذا الميدان، وهذا الانتاج سيستكمله الحزب والأجيال اللاحقة، وهكذا يكون هذا الفكر ومنتجه أحياء لا يموتون. لذا فإن المهمة اليوم كبيرة، والتحدي هو تحدي المصير، فنحن أحوج ما يكون إلى أن نستكمل مسيرة الشهيد حسين مروة، فما يجري في عالمنا العربي لا يمكن مجابهته بالسلاح فقط، إن المجابهة بالفكر توازي المجابهة بالسلاح، خاصة وان المعركة هي معركة وعي في وجه التضليل، والعودة إلى هذه الجبهة اليوم واجب تجاه شهيدنا الكبير أبو نزار ورفاقه الشهداء خليل نعوس ومهدي عامل وسهيل طويلة... بل هي واجب تجاه شعبنا والإنسانية جمعاء.

سنتظاهر رفضاً لفرض الضرائب على الفقراء في مشروع الموازنة(*)

أيتها اللبنانيات أيها اللبنانيون،

اسمحوا لنا بداية، أن نتوقف في مؤتمرنا الصحفي عند مشروع الموازنة العامة الذي تجري مناقشته اليوم في مجلس الوزراء، لكي نؤكد على مسألتين اثنتين: الأولى أهمية إنهاء اثني عشر عاماً من إنفاق الدولة بدون موازنة عامة، وبدون قطع حساب وبلا رقيب ولا حسيب، والثانية، لكي نعلن موقفنا من مشروع الموازنة المقترح على اللبنانيين.

فبعد قانون الإيجارات الظالم والتهجيري بحق المستأجرين وصغار المالكين، وبعد الفشل الذريع في إقرار قانون جديد للانتخابات النيابية يفتح باب الإصلاح السياسي في نظامنا الطائفي، حيث الكلّ يفتش عن حصته في تعديل قانون الستين أو في تشويه النسبية، في المختلط أو التأهيل، يأتي مشروع الموازنة العامة بمثابة مشروع ضريبي هجومي بامتياز ضد مصالح أكثرية اللبنانيين. فلا رؤية إصلاحية لمعالجة القضايا الاقتصادية والاجتماعية والمعيشية التي يعانون منها، ولا استراتيجية تغيير حقيقية للسياسات المالية والنقدية والضريبية.

إن هذه المؤشرات إن دلت على شيء فهي تدل على ضرورة مغادرة الأوهام في تحقيق إصلاحات سياسية اقتصادية اجتماعية جدية على يد هذه السلطة الحاكمة، انها مهمتنا نحن، مهمة المتضررين كل المتضررين، الذين عليهم إمساك قضيتهم بأيديهم، ويتوحدوا في ساحات النضال من أجل حقوقهم، من أجل التغيير الديمقراطي، من أجل فرض قانون جديد للانتخابات على أساس النسبية وخارج القيد الطائفي والدائرة الواحدة، وشق طريق بناء الدولة الوطنية الديمقراطية المقاومة بقوة الحراكات الشعبية على الأرض.

إن ما تضمنه مشروع الموازنة من توجهات مبدئية جديدة في زيادة الضرائب على الأرباح والفوائد والريع العقاري، إنما جاء تحت ضغط التحركات النقابية والشعبية التي شارك فيها الآلاف من المتظاهرين والمعتصمين في السنوات الماضية، والتي سبق للحزب أن دعا إليها في بيانه الوزاري البديل، وهي اليوم، على أهميتها النسبية، مهدّدةً بالتشويه أو الإلغاء رغم ضآلتها.

إن ما تسرّب عن مداولات مجلس الوزراء في هذا الشأن، وما شهدته مناقشة الموازنة حتى الآن وبخاصة مواقف كبار أصحاب المصالح المصرفية والتجارية والريعية المترسّخة، والتي تتحكم بقرار ما يسمى «بالهيئات الاقتصادية» وجمعية المصارف، والتي شكلت هجوماً يمينياً شرساً ضد رفع الضرائب على أرباح المداخيل الريعية، يشير بوضوح إلى المحاولات والنيات المضمرة لدى هذه الأطراف لجعل «المحدّدات» التي أملت غلبة النمط التحاصصي على التسويات السياسية الجارية ــ بدءاً من آلية انتخاب رئيس الجمهورية وانتهاءً بتشكيل الحكومة وإعلان بيانها الوزاري ــ تنسحب، هي نفسها، على ما ستؤول إليه التوجهات النهائية لمشروع الموازنة المقترح . أما الملاحظات والاستنتاجات الأساسية التي

خلصنا إليها، فهي التالية:

إن الإجراءات الضريبية المقترحة لا تشذّ ــ باستثناء عدد من العناصر المستجدة ــ عن السياق العام لسياسات الحكومات المتعاقبة منذ عام 1992. وقد ارتدى معظم هذه الإجراءات طابع الضرائب والرسوم غير المباشرة التي تطال الاستهلاك والمعاملات اليومية للمواطنين، كالضريبة على القيمة المضافة والرسوم على المركبات والسيارات والمازوت والحمولات المستوردة بالمستوعبات ومختلف أنواع رسم الطابع المالي، فضلاً عن الرسوم على القيمة التأجيرية ورسم المغادرة والرسوم على معاملات كتاب العدل وغيرها. وتبعاً لذلك، فإنه يتوقع أن ترتفع نسبة الضرائب والرسوم غير المباشرة التي يدفعها الفقراء وأصحاب الدخل المحدود إلى حوالي 80% من إجمالي الإيرادات العامة، بينما الأثرياء لا يدفعون سوى 20%، وهذا ما يعمق الخلل التاريخي في بنية النظام الضريبي وافتقاده إلى مقوّمات العدالة الاجتماعية، كما يتوقع انعكاس ذلك في ارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة.

أما العناصر المستجدة التي قد تنطوي على بعد إصلاحي، فإنها تتمثّل في استحداث ضريبة على الربح العقاري ورسم على الشقق السكنية الشاغرة وتعديل طريقة احتساب الضريبة على الفوائد التي تجنيها المصارف من الاكتتاب بسندات الخزينة من أموالها الخاصة. وإذ يدين الحزب الشيوعي اللبناني الهجوم الشرس الذي تشنّه قوى متنفّذة من داخل الحكم بالتضامن مع رأس المال المصرفي والعقاري الكبير، ضد هذه البنود الضريبية المستحدثة، فإنه يعتبر، في الوقت ذاته، أن زيادة الضرائب على الأرباح والريوع قد جاءت متواضعة نسبياً وغير خاضعة لأيّ مفاعيل تصاعدية. وهذا ما ينطبق بشكل خاص على الضريبة على الفوائد المصرفية التي رفعت من 5% إلى 7% فقط، وكذلك الضريبة على أرباح الشركات المالية التي اقتصرت زيادتها من 15% إلى 17% فقط بينما المطلوب زيادتها إلى مستوى لا يقل عن 30%، وكان ينبغي إخضاع

هذين البندين وكذلك الضريبة المستحدثة على الربح العقاري لمعدلات أعلى بكثير لأن هذه المداخيل قد استفادت لأكثر من 25 عاماً من معدلات ضريبية متدنية ما ساهم بتراكم الثروة بأيدي القلة وتزايد الفروق الطبقية في المجتمع اللبناني.

إن الاعتمادات المخصّصة للإنفاق الاستثماري، وعلى الرغم من كونها تشكل 8،7% من إجمالي قيمة النفقات العامة، إلاّ أنها تبقى دون المستوى المطلوب، بخاصة في ظل تردي حالة البنى التحتية، وهي أقل من ربع أو خمس ما تنفقه الدولة على خدمة الدين العام. ويكرّس هذا الواقع نسقاً معوّقاً للنمو لا يزال مسيطراً منذ أوائل الألفية، وهو يفضح ادعاءات الحكومة بأنها عازمة على معالجة الأوضاع البائسة للمرافق العامة والبنى التحتية الأساسية، من شبكات كهرباء وماء ونقل عام وصرف صحي وجمع نفايات، فضلاً عن شبكات الحماية الاجتماعية التي تتطلب المزيد من الاستثمارات، في مجالات الصحة والتعليم والسكن والتنمية المحلية. إن استمرار هذا الواقع يعني ببساطة إبقاء المواطن اللبناني ملزماً بتأمين وتمويل معظم احتياجاته الملحّة من جيبه الخاص، مع العلم أن هذه الاحتياجات تشكّل من جهة أساس استقرار عيشه اليومي، وتتحكم بتوفيرها من جهة ثانية تكتلات شبه احتكارية تبسط سيطرتها على القطاع الخاص.

إن مساوئ الموازنة تتجلى في محاولات إيهام الرأي العام بأن الزيادات الضريبية المفروضة على اللبنانيين سببها سلسلة الرتب والرواتب. والحقيقة أنهم خصصوا في مشروع الموازنة 1200 مليار ليرة (800 مليون دولار) لتمويل السلسلة، أي أقل من نصف حقوق الموظفين والمعلمين والعسكريين والمتقاعدين والمتعاقدين، ثم عادوا وانقضّوا على الفقراء وأصحاب الدخل المحدود واللبنانيين عموماً ليفرضوا إجراءات ضريبية بنحو 1700 مليون دولار، أي ضعفي ما خصّصوه للسلسلة، مع بقاء احتمال إقرار الضرائب وعدم إقرار السلسلة بحجة فصلها عن الموازنة وهم الذين ربطوا السلسلة بالموازنة لسنوات وسنوات.

إن هذه الأرقام تؤكد استخدام القوى الحاكمة للسلسلة شمّاعة لتحميل المواطنين أعباء تكاليفها وغطاء لتنفيعاتهم، ولاستمرار سياسات الهدر والفساد والعلاقات الزبائنية المستحكمة بسياسات الإنفاق العام، الذي يرتفع سنوياً بمعدلات تزيد بكثير عن معدلات نمو الناتج المحلي القائم، ووزر استمرار سياسات الضرائب المتدنية على الأرباح والريوع والتي كانت السبب الرئيسي في تفاقم عجوزات الخزينة ونمو الدين العام على مدى أكثر من 25 سنة.

إن الشعب اللبناني الذي يعاني بسبب الانكماش الاقتصادي والذي يفتك به تفاقم ظواهر الفقر والبطالة وعدم المساواة وانهيار المرافق العامة وتراجع القدرة الشرائية للأجر والتقديمات الاجتماعية، لم يعد قادراً على تحمّل أي زيادة متحيّزة ومرتجلة في العبء الضريبي، لا سيما الضرائب والرسوم غير المباشرة.

إنهم يفرضون الزيادات الضريبية على الفقراء ولا يقدمون المياه ولا الكهرباء ولا السكن ولا التعليم ولا الصحة ولا السلسلة ولا الأجور، ومع ذلك يزداد عجز الموازنة ومعه تزداد خدمة الدين العام. فأين تذهب أموال اللبنانيين؟ إنها تذهب إلى جيوب أمراء الطوائف وحيتان المال القيّمين على نظام الفساد السياسي وهدر المال العام... نحن ندفع وهم ينهبون.

فإلى رفع الصوت وإطلاق كل التحركات النقابية والقطاعية والشعبية، وعلى أوسع نطاق، عمالاً، مستأجرين، أساتذة، معلمين، موظفين إداريين، متقاعدين ومتعاقدين، في الروابط والاتحادات والنقابات والهيئات في القطاعين الرسمي والخاص من أجل:

أولاً: إصلاح سياسات الإنفاق العام وإجراء تغييرات هيكلية في بنية النظام الضريبي، وأهم هذه التغييرات: استحداث ضريبة استثنائية لا تقلّ عن 30% على الأرباح الإضافية التي تحقّقت للمصارف وكبار المودعين من جرّاء هندسات مصرف لبنان المالية الأخيرة.

ثانياً: رفع معدلات الضريبة على الفوائد المصرفية وأرباح شركات الأموال تباعاً إلى 15% و30 %.

ثالثاً: فرض معدلات تصاعدية على الربح العقاري، بحيث تصل، أي هذه المعدلات على الشطر الأعلى، إلى ما لا يقلّ عن 25% من الربح المحقّق (بدلاً من المعدل غير التصاعدي المقترح والبالغ 15%).

رابعاً: وقف قنوات التهرّب الضريبي عبر الشركات القابضة وغيرها، ووقف مزاريب الهدر والفساد واسترجاع الأملاك العامة وفرض الضرائب والغرامات على المنشآت القائمة.

خامساً: تعديل وإقرار سلسلة الرتب والرواتب بما يرضي كل الروابط والقطاعات التعليمية والإدارية والعسكرية والمتقاعدين وإلى إلغاء الإجراءات الضريبية المفروضة على أصحاب الدخل المحدود، ورفض اقتراحات جمعيات أصحاب المصالح الكبرى على اختلافها، الداعية إلى التهرب من دفع المتوجب عليها من ضرائب.

سادساً: عدم توقيع قانون الإيجارات الظالم التهجيري وإعادته إلى المجلس النيابي.

إننا ملتزمون بدعم وتأييد كل التحركات النقابية والشعبية، داعين الجميع إلى التحرك وتحمل مسؤولياته. فكما تظاهرنا في الخامس من شباط الجاري من أجل التغيير الديمقراطي ، من أجل النسبية خارج القيد الطائفي والدائرة الواحدة، سنتظاهر ونعتصم مجدداً وفي كل الساحات دفاعاً عن حقوق العمال والمستأجرين والمعلمين والموظفين والأجراء، وإذا ما أقدموا على إقرار البنود الضريبية على الفقراء في مشروع الموازنة، مؤكدين على تصعيد تحركنا الذي بدأناه، وعلى المشاركة الواسعة في التظاهرة الشعبية التي ستقام من قبل منظمة الحزب في الجنوب بالتنسيق والتعاون مع القوى اليسارية والديمقراطية والأهلية، نهار السبت الواقع فيه 2017/3/4 الساعة الرابعة بعد الظهر في مدينة النبطية، والتي ستُترافق أيضا مع شتى أشكال التحرك في البقاع والجبل والشمال..

إنها معركة مفتوحة رفضاً للسلوك السلطوي الممعن في تجاهله لمطالب الشعب اللبناني، في بناء دولته الوطنية الديمقراطية، وخوض هذه المعركة واجب وطني ليس فقط على الشيوعيين، وإنما أيضاً على كل المتضررين من أبناء شعبنا اللبناني.

(*) كلمة الأمين العام للحزب الشيوعي اللبناني حنا غريب، في المؤتمر الصحفي حول مشروع الموازنة - بيروت 21 شباط 2017.

بمناسبة الذكرى الثلاثين لاستشهاد حسين مُروَّة

أحمد مروّة

كتب الشاعر السوري شوقي بغدادي عن حسين مروّة:

«كان حضوره الشخصي كافياً لخلق مُناخٍ «رائقٍ» خاصٍ مميَّزٍ بالسموِّ والتسامح والحماسة، ولهذا السبب لا أعتقد أن قيمة حسين مروّة تنحصرُ في أفكاره وكتاباته المدوّنةِ، بل يمكن القول إنّ لهذه القيمة جانباً آخرَ لا يقلّ أهميّة، وهي القيمة الناشئة عن حضوره الشخصي وعلاقاته الاجتماعية والتي يجب أن يكتب عنها الكثير من أهله والمقرّبون منه بشكل خاص كي نفي هذا الرجل الفذّ حقّه من التقدير». [1]

ونحن على أبواب الذكرى الثلاثين لاستشهاده، لا بدّ أن نستجيب لملاحظة الشاعر الأستاذ شوقي بغدادي، بسرد بعض ذكريات حميمة للأب المناضل في سبيل إسعاد عائلته الصغرى وعائلته الكبرى التي تشمل ليس مواطنيه في لبنان بل تتعدّى ذلك للعائلة الإنسانية بأشملها.

***

حينما عُدنا إلى لبنان أواخر العام 1949، بدأنا نتعرّف على الأقرباء في بيروت، ومن ثمَّ في قرى جبل عامل: حداثا، حاريص، عيثا الجبل، برعشيت، وعين بعال، والزرارية والنبطية، ودُهشتُ لكثرة هؤلاء الأقرباء والأرحام الطيبين من عائلة حسين مروّة، وكان ينتقل من بيتٍ إلى بيت في بيروت، ومن قرية وبلدة إلى أخرى في الجنوب اللبناني، وكان والدنا، أبو نزار، دليلنا للتعارف بيننا وبين هذا العدد الكبير من الأخوات والأخوة وأبناء وبنات الأعمام والخؤولة والأنسباء، وكلّهم يستقبلوننا بالأحضان.

كان يزورنا في الكاظمية (العراق) كثيرٌ من اللبنانيين العامليين وكنتُ أعتقد أنّ هؤلاء هم من أقاربنا، وتبيّن لي فيما بعدُ، أنّهم عامليون يعرفون بالشيخ حسين مروّة أو يسمعون عنه الكثير، وهم يؤدون زيارتهم للعتبات المقدسة والكاظمية هي واحدة منها حيث مقام الإمام السابع موسى بن جعفر الملقب بالكاظم وحفيد الإمام التاسع محمد بن علي الرضا فلا بدّ أن يقصدوا دار أبي نزار، الشيخ حسين مروّة للتبرّك بهذا الذي ذاع صيته في جبل عامل.

وفي لبنان بدأتُ أتعرّف على الأقرباء والأرحام فوجدتهم مثل وداعة ومحبة زائرينا في الكاظمية، ولكن حبّ هؤلاء ولطفهم كان ينبع من صميم القلب.

حينذاك لم أكن قد أنهيت عامي الرابع عشر وأنا الإبن الثالث لأبي نزار. وأوّل ما قام به والدنا هو إيجاد العمل، فدعاه قريبه الأستاذ كامل مروّة إلى العمل معه في جريدة الحياة. ثم أمَّن لنا مدارس

باللغة الانكليزية لأخي الثاني من أولاده: حسّان وأنا، حيث أنهينا في العراق الصف الثاني المتوسط فلم يجد سوى مدارس خاصة لأن الرسمية منها كانت فقط بالفرنسية. أما شقيقنا نزار فقد أنهى الباكالوريا وحالفه الحظ بالحصول على منحة من وزارة المعارف العراقية للدراسة في الجامعة الاميركية في بيروت. أما بقية الأخوة وكنَّ أربع وشقيقي الرابع سحبان فدخلوا مدارسَ رسمية.

عشنا في بيروت، فكانت أيام السبت والأحد وكذلك الأعياد مكرّسة لزيارات الأقارب في بيروت وضواحيها: الشياح وبرج حمّود، فكان أبو نزار وأم نزار في قيادتنا لهذه الزيارات. أذكر في الأعياد كنا نتهيأ منذ الصباح لزيارة بيوت الأقارب فننتقل من بيت إلى آخر وكلّما تركنا منزلاً لنتوجّه إلى منزل آخر نزداد عدداً حتى نصل إلى آخر بيتٍ ليغدو عددنا كبيراً من المهنئين بالعيد من شباب وصبايا.

ولا بدّ من مناسبات للسهرات، نلتقي فيها في أحد بيوتاتنا العائلية فيدور السمر والغناء والرقص والفكاهات والمقالب والألعاب الجماعيّة

(١) «حوار مع فكر حسين مروّة» الصادر عن دار الفارابي 1990، مقالة شوقي بغدادي: «قبل المواجهة الأخيرة»، ص291، وهذه الكتاب نُقِل عن مجلةِ الطريق العدد 3/2: حزيران/تموز 1988، ص295

حتى منتصف الليل، ويكون أبو نزار المبادر لكلّ نشاط في هذه السهرات. عند عودتنا من الشياح بعد انتهاء السهر نسير في الطريق نحو بيتنا في شارع حمد في الطريق الجديدة مشياً على الأقدام في مشية عسكرية وأبو نزار يضبط الإيقاع: يمين، يسار، يمين، يسار... قف، يمين دُرّ.. للأمام سر... ونحن نسير منشدين الاناشيد ونغني حتى نصل إلى بيتنا.

أما في الأعراس، فالدبكة يجب علينا أن نجيدها لأن الأمر من أبي نزار يصدر، وتبدأ الدبكة وأبو نزار أول الدبّيكة، فتتشكل الحلقة، ورويداً رويداً يزداد عدد الدبّيكة، حتى ينتهي الشوط ونحن نلهث والعرق يتصبب من أجسادنا وقد ابتلّت ثيابنا...

أما في الأتراح فلزام علينا تأدية الواجب والمشاركة في الحزن والتعزية..

لقد غدا أبو نزار الأب الروحي للعائلة، والكلّ يكنّ له الحب الصادق والاحترام. لقد أصبح أكثر من أبٍ روحي، إنه المثال والقدوة في صدق المحبة والإخلاص والكرم والبشاشة والاستقامة وكل صفة حميدة.

أذكر مرة، وكنت لا أزال في المرحلة الثانوية، دخلت غرفته وهو جالس إلى طاولته يكتبُ بانهماك، وسألته بحياء وصوت خفيض، كعادتنا حين نخاطبه، عن معنى كلمةٍ، فنظر إليّ وقال لي: هل عندك «منجد»؟ قلت: وما هذا «المنجد»؟ فنظر الى سطح الطاولة أمامه وأمسك بيده كتاباً ضخماً عن زاوية الطاولة، وقال: إمسِك هذا الكتاب، هذا هو المنجد، وكل كلمة في العربية له جذر من ثلاثة أحرف، يُسمّى الجذر الثلاثي للكلمة، والجذور مرتّبة حسب الألف باء، ما هي الكلمة التي تريد معناها؟ قلتُ: استَبطن. قال: وما هو جذرها الثلاثي؟ أجبته: بَطَن. قال: جيد خذ هذا المنجد وافتحه على حرف الباء وفتّش عن (بَطَن) فاذا وجدتها، فتّش تحت هذا الجذر ما تريده من مزيدات الجذر. ولا تَعُد إليّ ثانيةً. وقال جملته هذه بحزم. فأخذتُ المنجد، وأنا منزعجٌ من جملته الأخيرة. وبدأتُ أتساءل: لماذا لم يقل لي معناها بسرعة فأتركه لحاله بدل أن يطيل هذا الشرح. ولكنني أدركتُ بعد تفكير عميق وتحليل ما يقصدُ من كلّ هذا، كان يريدني أن أعتمد على نفسي وأريحه من كثرة الأسئلة.

وعندما أصبحتُ رجلاً وأباً لأولادٍ وقراتُ وسمعتُ تاريخ مسيرته العلمية وكيف تعلّم لوحده واعتمد على رغبته في العلم، قدَّرتُه وغدوتُ أتطلعُ الى المعرفة بكلّ لهفةٍ وصبر.

عندما أنهيتُ دراستي الثانوية في حزيران 1952 وكان توزيع الشهادات في حفلة يحضرها الأهلُ. رأيتُ وسمعتُ رفاقي الطلاب ماذا يحضّرون من ملابس لهذه الحفلة. اقتربتُ من مكتبه، وكان منشغلاً كعادته في الكتابة، وقفتُ الى جانبه، فانتبه لوجودي والتفتَ إليَّ، قال: نعم! فقلتُ له بصوتٍ خفيض وَجِلٍ كالعادة: يا أبي.. قال: نعم يا بُني، قلتُ: الحفلة لتوزيع الشهادة؟ قال: ما بها؟ أجبته: أريدُ بدلةً ألبسها في هذه الحفلة! فنظرَ إليَّ حائراً. ثم وقف وتوجّه الى خزانة ملابسه وقف برُهةً يتأمّل ملابسه، ثمَّ أخرج جاكيتة بيضاء من الكتّان وقال: خذ وجرِّب هذه الجاكيت.

فساعدني في ارتدائها وأخذ يتأملني ويدور حولي ثم قال: هي على قياسك؟ وقبل أن أنطق بكلمة، أجاب عنّي: إنها جيدة عليك. أعتقد أنّ لديك بنطلوناً يناسبها، واصبغ حذاءك ولمّعه جيداً، أعتقد سيكون مظهرك لائقاً و«مشّي الحال» موافق؟ فأجبته كعادتي بصوتي الخفيض الوَجِل «ماشي الحال، بابا».

انتقلتُ في العام التالي (1952-1953) إلى السنة الأولى في الجامعة الأميركية في بيروت، الجامعة الوحيدة التي كانت متوفرة في لبنان، وكان شقيقي نزار قد سبقني إليها بثلاث سنوات، وانحلّت مشكلة شراء الكتب المقرّرة فكانت كتبُ نزار التي استعملها قبلي، فشطبتُ اسم نزار وكتبتُ بدلها أحمد وبقيت كلمة مروّة مكانها كما هي... ولا زلتُ محتفظاً ببعضها حتى الآن. أما أقساط الجامعة، فقد تعلمتُ من الطلاب اللبنانيين الآخرين أن أدفعها على أقساط شهرية... وفيما بعد حين أصبحت أباً عرفت كلّ معاناة والدي في تسديد هذه المبالغ الكبيرة على تعليمي منذ دراستي في لبنان الثانوية والجامعية، حتى تخرجت من الجامعة في حزيران 1956.

وقد تخرّجنا، نزار وأنا في السنة نفسها، وفي خريف العام نفسه سافرت إلى إفريقيا حيث خالي يعمل في التجارة، وهناك أصبحت تاجراً. وبقيتُ تسعَ سنواتٍ، مللتُ من التجارة فعدتُ إلى لبنان مع زوجي وخمسة من أولادي، وبدأتُ في التعليم الثانوي، وقد أدركتُ أنّ مهنة التعليم هي من أشرف المهن الإنسانية، فأعطيتها من ذاتي كلَّ ما استطعتُ أن أقدّمه إلى تلاميذي منذ العام 1965 حتى لحظة تقاعدي 1999.

وبعد وفاة والدتي بعد سبعة أشهر من تقاعدي، اكتشفت شقيقتي هناء (أم كريم) رزمة ملفوفة بقطعة قماش مربوطة بشريط قماشي في مكان من خزانتها، وحينما فتحت هذه الرزمة وجدت معظم رسائل أبي نزار إلى أم نزار منذ تعرّف بها وأحبّها، وتعلّقا ببعضهما مدة ثلاث سنوات ثمّ تزوّجا وكان قبلها في النجف يدرس العلم الديني. وخلال زواجهما حين يسافر إلى خارج لبنان. ويقارب مجموعها الثمانين رسالة. وكلّ رسالة منها هي قطعة أدبية رومانسية فكرية إخبارية في جميعها تقريباً.

التيارات الدينية المعاصرة ومنحنياتها الجديدة *

حسين مروة

... إن مركز الخطر في هذه الظاهرة (أي ظاهرة التيارات الدينية) هو أن التيارات والحركات الدينية هذه، بطابعها السياسي ذاك تدخل على خط الأزمة اللبنانية بمشروع تغييري يقوم على إنشاء دولة إسلامية في لبنان، أي أن التغيير الذي يطرحه مشروع هذه التيارات والتنظيمات مشروط بإنشاء الدولة الإسلامية. إن خطر هذا الإشتراط هو في كونه يشكل موضوعياً ــ في ظروف لبنان، بخاصة وهو البلد المتعدد الطوائف والمذاهب ــ عامل تقسيم للبنان الوطن، وعامل تفتيت للجماهير الشعبية ومنها الجماهير الإسلامية ذاتها.

إن ما تحدثه هذه التيارات والحركات الدينية تطرح مشروعها أهدافاً معادية للإمبريالية، وصحيح أيضاً أنها تسهم في عملية تدمير النظام البرجوازي القائم... وكلا هذين يمثّل وجهاً إيجابياً لها ويقتضي التعامل الإيجابي معها ــ لكن، لا بدّ لنا أن ننظر إلى الأمر من وجهة الآخر لنرى: أولاً أن هذه التيارات والحركات الدينية تحاول ضرب البديل الثوري، وقوى التحالف المعادية للإمبريالية، ولكن بحلة جديدة. ولنرى: ثانياً أن المشروع السياسي المتكامل الذي تتقدم به كبديل «إسلامي ثوري» يساوي بين الإمبريالية والاشتراكية انطلاقاً من كونه يعتبر نفسه طرفاً ثالثاً.

إن المشروع السياسي هذا، إما أن يضع نفسه خارج التاريخ، لأن التاريخ لا يعرف طرفاً ثالثاً بين الإمبريالية (الرأسمالية) والاشتراكية، فهو إذن مشروع مستحيل، وإما أن يكون داخل العملية التاريخية، فلا بدّ أن يكون إما رأسمالياً بشكل ما ــ وهذا ما ينفيه المشروع عن نفسه ــ وإما يكون اشتراكياً، وهذا يستحيل أن يكون ضمن اختياره.

فهو إذن مشروع مستحيل من كل وجه. لكن استحالته، أي استحالة تحققه لا تلغي خطره الراهن على نضال القوى الوطنية والديمقراطية والتقدمية في سبيل المشروع الوطني الديمقراطي، ولا تلغي خطره كذلك عرقلة مشروع التغيير الاجتماعي السياسي الثوري الجذري للنظام القائم.

إننا نحن الشيوعيين اللبنانيين، انطلاقاً من موقعنا الطبقي، كحزب الطبقة العاملة، ومن نظريتنا الثورية، كماركسيين لينيين، ومن كوننا جزءاً في حركة النضال التحرري الوطني والقومي، لا يمكن إلاّ أن نميّز في نظرتنا إلى هذه التيارات والتنظيمات الدينية، بين مواقفها التحررية المعادية للإمبريالية والصهيونية، المناهضة للاحتلال الإسرائيلي، فنقرر موقفاً إيجابياً منها أو موقفاً تحالفياً، وبين شعاراتها السياسية ذات المحتوى الانقسامي والطائفي ونهجها الأيديولوجي المعادي للقومية العربية وللاشتراكية وللديمقراطية، فنقرر معارضتنا لتلك الشعارات ولذلك النهج. على أننا حريصون كل الحرص أن تجرير معارضتنا ضمن نطاق الديمقراطية بأوسع معانيها وأبعادها.

وختاماً: لعل هذه المقالة استطاعت أن تساعد على استخلاص ما يأتي:

إننا نحن الشيوعيين اللبنانيين ــ انطلاقاً من مواقعنا الطبقية والوطنية والقومية والأيديلوجية، لسنا، اطلاقاً، نبني موقفاً ما، إيجاباً أو سلباً، من التيارات والتنظيمات الدينية المعاصرة على أساس من القضية الدينية الإيمانية، بل نحصر موقفنا منها، في حالتي الاتفاق والاختلاف، في نطاق القضية السياسية والاجتماعية، نعني قضية التحرر الوطني والتغيير الاجتماعي ــ السياسي، والثوري.

وإننا نعمل جاهدين مخلصين في أن تنحصر علاقة الاتفاق والاختلاف معها، كما مع غيرها من التيارات والتنظيمات غير الدينية، ضمن العلاقة الديمقراطية السلمية وحدها.

***(جزء من مقال كتبه الشهيد حسين مروة بـ *29/11/1986*، قبل اغتياله وتم نشره بعد استشهاده في مجلة الوقت في عددها الرابع لعام *1987*).**

حسين مروّة
أعاد صوغ تاريخ الفلسفة في سبيل التحرر الوطني والثورة

إلياس شاكر

يكتشف الذين كانوا وراء اغتيال شهيد حرية الفكر والبحث العلمي، الشيوعي حسين مروّة، بعد ثلاثة عقود على الاغتيال، وسيظلون يكتشفون أن جريمتهم لم تؤدِّ، في المحصّلة الأخيرة، إلّا إلى تسريع انتشار الفكر الذي أرادوا تعطيله، بل أكثر من ذلك، سيظلون يكتشفون أن تاريخ الفلسفة عامّةً يظل ناقصاً اذا لم يستوعب الأثر الذي تركه له عمل حسين مروّة، «**النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية**»، كتدخّل في تاريخ الفلسفة العام، يعيد صوغ هذا التاريخ، وليس مجرد فصل يضاف إلى تاريخ الفلسفة لتغطية جغرافية لمنطقة واسعة كانت مهملة في تاريخ للفلسفة متمحور حول المركزية الأوروبية التي ترى تاريخ الفلسفة يبدأ في الغرب وينتهي فيه.

لا يمكن تبرئة هذه النظرة الاستشراقية الرجعية من عنصرية ارتبطت أساساً بنشأة الاستعمار وتوسُّعه، مع ولادة نمط الانتاج الرأسمالي وتطوُّره. وكان أبلغ تعبير عن هذه الاستعمارية ــ الطبقية في تاريخ الفلسفة قول المستشرق الفرنسي في القرن 19، إرنست رينان، إن الفلسفة العربية الإسلامية ليست سوى «نسخة عربية للفلسفة اليونانية».

يقدِّم حسين مروّة «**النزعات المادية...**» في مواجهة موقف رينان، كردّ عملي عليه، وليس كردّ تنظيري إيديولوجي كما يفعل كثيرون. وعلى هذا الصعيد يُعرِّف حسين مروّة عمله على الوجه التالي:

«يبدو لنا أن التبصّر العلمي الموضوعي في قضية تقديم التراث القومي الفكري واستيعابه بروح عصرنا حقاً، لا بدّ أن يصل إلى الإعتراف بأنّه لا يمكن حل هذه القضية حلّاً صحيحاً إلّا على أساس الأسلوب الماركسي اللينيني الذي يستلزم إبراز المحتوى الديمقراطي الكامن في كلّ تراث روحي قومي والربط بينه وبين المحتوى الديمقراطي الأممي للثقافة المعاصرة والثورة الاشتراكية التي أصبحت طابع عصرنا».

هكذا يقدّم حسين مروّة عمله كأبلغ ردّ ممكن على الموقف الاستشراقي الرجعي من التراث الفلسفي العربي الإسلامي، لأن وجود النزعة المادّية الملازم لوجود النزعة المثالية في الفكر الواحد هو أبلغ إثبات لأصالة هذا الفكر. ثم إن الموقف الاستشراقي الحديث الصادر عن الإيديولوجيا الطبقية البرجوازية المعادية للديمقراطية، يشكّل استمرارية طبيعيةً للفكر الرجعي الخاصّ بالطبقات المسيطرة في المجتمعات ما قبل الرأسمالية، لجهة قمع النزعات المادّية في الفكر وطمسها في تاريخ الفلسفة. وهذا لا يقتصر على الفلسفة العربية الإسلامية، بل هو ملازم لتاريخ الفلسفة عامة.

إن ما نشهده اليوم من الأساليب التكفيرية يشير بوضوح إلى طينة القتلة الذين اغتالوا حسين مروّة ومن وراءهم، وبات العالم أجمع يدرك طبيعتهم الاجتماعية السياسية، خصوصاً بعدما شهدنا وسمعنا الأطراف المسيطرة في أكبر دول إمبريالية، يتقاذفون الاتهامات بالمسؤولية عن الوجود الداعشي. إنهم يعترفون. ويبرز إلى العلن أنّ كل كلام ينسب الداعشية إلى الدين إنما يصبّ الماء في طاحونتها.

اغتالوا حسين مروّة لأنّهم شعروا بأن عمله يكشفهم سلفاً.

نجمتا الوطن القادم *

الوطن القادم لا يأتي إلاّ عبر ذراع الوطن المقاوم.

الوطن القادم لا يأتي إلاّ مجللاً بشعاع الدم الساطع في جسد نجمة مقاتلة تموت، لتلد ألف نجمة تقاتل، وتموت، ثم تلد وتموت.

حتى يأتي الوطن القادم.

وطننا القادم هو لبنان المتغير المتحول.

هو لبنان المستحق أن يكون وطن النجوم الصاعدة من رماد الاستشهاد، لتكون هي جمال الوطن، لتكون هي شكل التغير والتحول.

لتكون هي غصون الفرح آتية من الجذور والينابيع.

وطننا القادم هو لبنان الخارج إلى الأبد من قبضة ملوك الطوائف والعشائر والقبائل والصيارفة ولصوص الحياة والخبز والحرية وكرامة الإنسان.

*(مقتطف من مقال نشره حسين مروة في جريدة النداء 14-5-1985، تحية للشهيدتين لولا عبود ووفاء نور الدين)

الشهيد حسين مروة لم تغيّبه رصاصات الظلامية

موريس نهرا

بعد مرور 30 سنة على استشهاد المفكر والكاتب حسين مروة، ما تزال افكاره ومؤلفاته وكتاباته، على توهجّها وراهنيتها. وهي بطابعها العلمي والمعرفي والسياسي، وبخاصة في رؤيتها للتراث، تشكل اليوم، حاجة ملحّة، ليس لفهم الماضي والتراث، وقراءته في تاريخيته فقط، بل وللتوجه السليم، في رؤية علاقته بالواقع الاجتماعي الحاضر، والسبيل الذي يُخرج شعبنا ومجتمعنا العربي، من أسر الماضي، والمفاهيم الجامدة الأحادية التي تكبّله، وتعيق انتقاله الى رحاب الحاضر والمستقبل المفتوح على التطور.

فهذا المفكر والباحث الكبير، الذي وُلد عام 1910، واغتالته يد الغدر والإجرام والظلامية، في 17 شباط عام 1987، أمضى معظم سنين عمره في مواقع النضال والعطاء، منتهجاً رؤية نقدية، وتوجهاً فكرياً تحررياً ثورياً.. درس في النجف الأشرف، وشارك في الانتفاضة الشعبية في العراق، ضد معاهدة بورتموت (الإنكليزية) عام 1948. فطردته في ما بعد سلطة نوري السعيد. وعاد إلى لبنان مواصلاً نشاطه النضالي، فانتمى إلى الحزب الشيوعي. وكان مناضلاً ومقاوماً على جبهة الفكر، وبسلاح الكلمة والرأي والموقف. وشكلت مقالته اليومية في جريدة النداء، خلال الحصار العسكري الصهيوني لعاصمتنا بيروت، وأثناء القصف الوحشي الإسرائيلي لها، زاداً للشيوعيين الصامدين والمقاومين، الذين قاموا بالدور الريادي في إطلاق جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية، وفي التصدي البطولي للمحتلين... ولم تثنه الأعوام بل زادته تجربة ونضجاً، وبقي متّقد الذهن، مستمراً في العطاء رغم قساوة الظروف، حتى يوم اغتياله برصاص الغدر والإجرام والظلامية، الذي وُجّه إلى رأسه مستهدفاً دوره وفكره النيّر، ومن يماثله فكراً وقناعةً، في لبنان وبعض بلدان المنطقة، لينتشر، في ظل أنظمة عربية قمعية لشعوبها وللقوى التقدمية والتغييرية فيها، الفكر السلفي الظلامي والتطرف الديني، ومفاهيمه ونظرته الجامدة والمتخلفة إلى الماضي والحاضر والمستقبل.

لقد أضاء المفكر الشهيد مروة، على تاريخ الفكر العربي والإسلامي، مسترشداً بالمنهج الماركسي والمفهوم المادي للتاريخ. وفي رؤيته وتحليله للتراث، يرى أن تعدد النظرة إليه، مع أن التراث واحد، ينجم عن تعدد الموقع الاجتماعي والمعرفي لناظره، حاضراً وماضياً. ويرى مروة أن ما يحتويه التراث من ظاهرات وتيارات وملامح، هو وثيق الترابط مع الواقع الاجتماعي وحركته التي تركت وتترك تأثيرها وبصمتها في صيرورته وتشكُّل ملامحه. وهو بذلك لا ينفصل عن واقع المجتمع وحركته، بل أنه نتاج للتفاعل الاجتماعي والفكري فيه. لذلك يرى مروة الى التراث بتاريخيته، معتبراً أن الأفكار لا تنتج معزولة عن عصرها وعن بنية المجتمع الذي نشأت فيه.

لقد قام حسين مروة بعمل فكري، كبير الأهمية، تطلّب جهداً مثابراً، وكفاءة عالية، ومنهجاً علمياً، بهدف صياغة رؤية للمسار التاريخي للتراث العربي، انطلاقاً من اعتباره أن الفهم الصحيح العلمي للماضي، ينير طريق الحاضر والمستقبل. وقد تجلى ذلك في كتاباته وبخاصة في مؤلفه «النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية». فالحاضر في رؤيته، في حركة صيرورة، تتفاعل داخلها منجزات الماضي، وممكنات المستقبل. فمن نظرته النقدية وقراءته التراث على أساس تاريخيته، يتضح ايضاً مدى خطأ النظرة التي ترى التراث منفصلاً عن الشروط والظروف الاجتماعية لتكوّنه، وكأنه قائم بذاته، وحالة سكونية منعزلة، لا علاقة لها في حركة الصراع في الزمان والمكان. ومثل هذه النظرة الخاطئة، الوحيدة الجانب، تؤدي إلى خطأ آخر، هو إسقاط ما حمله الماضي على الحاضر. في حين أن الواقع الاجتماعي الماضي، ليس مماثلاً للواقع الاجتماعي الحاضر وما برز فيه من منجزات وتطور وتغيُّر، ولا يتلاءم معه... فالحركة الاجتماعية لا تعرف الجمود، وليس ممكناً العودة إلى الوراء. وإن النظرة السلفية السكونية والأحادية للتراث، هي فضلاً عما تكتنفه من حنين عاطفي للماضي، واستغلال للاستياء من الحاضر المأزوم، لا تؤدي الى حلول لمشكلات الحاضر وأزماته، بل يشكل اسقاطها عليه تكبيلاً له، وسجنه في أسر الماضي. وهذا ما يحمل معه التصادم مع الحاضر، وسعي دعاة الفكر السلفي لتطويعه، من طريق العنف العبثي، والتطرف الديني، وأبشع أشكال الإجرام والإرهاب، كما تشهد منطقتنا اليوم. ويتيح كل ذلك، استخدام وتأجيج التناقضات والنزاعات داخل المجتمع، في صالح المخططات الخارجية، المتمثلة الآن بمطامع السيطرة الأميركية والصهيونية على المنطقة، ونهب ثرواتها. وبدعم وتسليح وتدريب، قوى هذه المخططات، وبالمال العربي، بالطبع ليس من أجل تحقيق القضايا التحررية العربية، وتحرر الإنسان العربي، بل لتدمير الحضارة العربية، وتشويه التراث العربي، الذي كان لدوره في القرون الوسطى، تأثيراً بارزاً ومهمّاً، خصوصاً في نشوء عصر النهضة والأنوار في أوروبا.

إن رؤية هذا المؤلّف الموسوعي للتراث، بترابطه وتفاعله مع ظروف الواقع الاجتماعي وحركته، تشكل منطلقاً موضوعياً للقراءة الصحيحة للتراث، بما فيه من ظاهرات وملامح، بعيداً عن التزمت والجمود. وهي تقتضي ضرورة الاصلاح الديني، وفق نظرة تتلاءم مع حركة الواقع الاجتماعي وعصرنا الحاضر، والانفتاح على المستقبل... فهذا ما تحتاج إليه شعوبنا ومجتمعنا العربي اليوم، مترافقاً مع تلبيه مطامحها في عيش آمن حرّ مستقر، لا يتحقق، لا بالدولة الدينية ولا بالدولة الطائفية، بل بإقامة دولة المواطنة، وفصل الدين عن الدولة، واعتماد الديمقراطية وحرية الفكر والمعتقد والتعبير، بديلا لأنظمة القمع والاستبداد، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وإلغاء احتكار الثروة وتبديدها بالتبذير والفساد، وبالنهب الخارجي، وإزالة بؤر الفقر والبؤس والجهالة.

إن ما تركه الشهيد حسين مروة، من نتاجات ورؤى فكرية وثقافية وسياسية، وبخاصة مؤلفه «النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية» يشكل مرجعاً للباحثين في التراث والتاريخ العربي، وللأساتذة والطلاب الجامعيين والمهتمين.... وإن رصاصات الغدر والظلامية التي وجهت إلى رأسه، لم تستطع إلغاء حضوره المستمر، الذي أصبح راسخاً في تاريخ الفكر العربي، وتاريخ حزبه النضالي.

تحية إجلال وتقدير للشهيد حسين مروة في الذكرى الـ 30 لاستشهاده.

الشهيدان المتلازمان:
«شكري بلعيد» وشيخه «حسين مروة»

زياد خلّوفي

مع نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات من القرن الماضي كان الرفيق الشهيد شكري بلعيد ومجموعة من الرفاق في التيار الوطني الديمقراطي مصدر ازعاج كبير للأطراف الرجعية وعلى رأسها فرع حركة الإخوان المسلمين المسماة بحركة الاتجاه الإسلامي وكان ذلك بفضل اعتماد على ما كان مطلع عليه كتابات المفكر الشهيد «حسين مروة» وخاصة موسعته «النزاعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية». فقد ارتقى وعي الرفيق الشهيد المؤسس وارتقت ماركسيته بمستوى التعاطي مع مقاربة المفكر «حسين مروة»، ليس من اعتبارها مجرد مقاربة نقدية لتاريخ الفلسفة العربية الإسلامية والنزعات المادية الكامنة والموجهة لديناميكية تطورها الى مستوى اعتبارها مرجعية من المرجعيات التي لا غنى عنها لأي ماركسية مناضلة تطمح إلى التأثير في بيئتها وتعمل على التغير الجذري. حيث أراد الشهيد القطع مع ذهنيات التكفير والتحريم والحروب الدينية وإحلال ذهنية الأنسنة المنفتحة على الحقوق الكونية والإنسانية المدافعة دولة العدالة والحرية والديمقراطية والتي تطمح إلى تحرير الإنسانية من الاستغلال والاضطهاد. فمن خلال تحليل المفكر حسين مروة أنه وقبل كل شيء هناك فرق كبير بين دين الطائفة المتعصب وبين الدين من كونه تراث وعي انساني عميق يعود للعصور السحيقة وليس له علاقة بالقيم المجردة لا بالإرهاب ولا بالاستغلال ولا بفحش الحروب الدينية. فالإسلام وقيم الحداثة في فكر حسين مروة أتى بثلاثة مقولات تقدمية جداً احتاجها المجتمع وهي القيم المهمشة والمنسية لدى التشكيلات الطائفية الإسلامية والتي تدعي تمثيل الدين سياسياً: الأولى هي الحرية الدينية «أنك لا تهدي من أحببت إنّ الله يهدي من يشاء»، « لا إكراه في الدين»، والثانية عدم وجود سلطة دينية، والثالثة هي الحرص على العلم «اطلبوا العلم ولو في الصين» فالعلم الذي في الصين ليس بالشريعة ولا الاجتهادات الفقهية. لقد أخرج الدين الإسلامي بما هو ثقافة الناس من الجاهلية وفعل ذلك قدر استطاعة المقولات الذهنية فعله والجاهلية المقصودة هنا هي العبودية الدينية فالمجتمعات التي جاءها الإسلام بهديه كان يخيم عليها ذاك الجهل الذي يخلط بين عبادة الله وعبادة طائفة من البشر تمثل الله على الأرض. لقد حاولت التعاليم الدينية ان تخرج المجتمعات من الانقسامات القبلية والتناحريات وعملت على تحرير الإنسان من العبودية.

أثبت تحاليل المفكر الشهيد حسين مروة لوعي كبير حيث أن نقص الوعي الشعبي بكل المبادئ التقدمية والنيرة يجب أن تقرا على أساس اننا نحن المسؤول على معالجتها. فالاستبداد الذي وضع نفسه خارج إشكالية الحداثة الغربية واقتصرت علاقاته بها على علاقة أداتية توظيفية والذي لا يمكن ان يقفز بعيدا فوق فجوات التأخر التاريخي والاشكالات التي تطرحها عليه خصوصيات الحالة العربية. لهذا كان يحتاج إلى إضفاء طابع ديني على استبداده وعلى تخلفه التاريخي.

*عضو مكتب سياسي لحزب الوطنيين الديمقراطيين الموحد - تونس

كلمة مهدي عامل
في يوم وداع الشهيد حسين مروة

ها نحن نودّعك ونشهد بأنك ما استعديْت إلا ظالماً هو بنظامه قامع مستبد. حاورت الجميع، ناقداً متسامحاً، مستكشفاً أفق المعارف، صارماً في الحق حتى ضد نفسك، صادقاً، والحق عندك في التغيير في خدمة الانسان. حاورت الرفاق والأصدقاء، وحتى خصوماً هم في حوار كأصدقائك. فلماذا قتلوك؟ لأنك الرمز، تنخسف الظلامية كلما خطّت يداك النهج في بحث التراث؛ ترى فيه الصراع المستديم بين قوى القهر وقوى الحرية، بين العقل والجهل. ألهذا قتلوك؟ لأنك قلت إن الفلسفة العربية الإسلامية ليست واحدة، بل متناقضة، يتجاذبها تياران: تيار النور وتيار الظلمات، تيار الثائرين وتيار المستبدّين حتى بالدين، وطبعاً بالإنسان، لأنك أثبتّ أنهم كذبوا. قتلوك، وأثبتّ ان قاعدة الفكر في وثباته الخلاقة علمية وثورية.

من الجنوب انطلقتَ، فأطلقت الجنوبَ وفكرَ الجنوبِ، وقلت: يا أيها المثقفون اتحدوا ضد الطغيان، ولتكن كلماتكم سلاحكم. أنتم أقلام الطبقة العاملة. ألهذا قتلوك؟ لأنك الشيعي الشيوعي.

(المصدر: مجلة الطريق ـ العدد الثالث ـ تموز 1987ـ ص 103)

حسين مروة: الموقف والفكر*

مهدي عامل

أرى في سيرة فكره سيرة نضاله، وفي السيرتين أراه يختطّ حياته ضد قوى القهر وأفكار القهر، منذ أن انطلق يافعاً يطلب علماً في النجف، إلى يوم استشهاده في بيروت بأيد مجرمة. مع التقدم تصنعه الثورة في الكتابة والسياسة كلا، مع تغيير العالم في يوميات العمر، وكان يرى في عقل الأحداث ضرورة أن تصير الحرية هواء الإنسان. كان ما سوف يكون: شيوعياً حتى قبل أن ينتسب إلى حزبه.

طردته من أرض العراق قوات الرجعية والتبعية يوم ثار مع الثائرين على النظام، في كتابات يومية هي رصد للواقعات بعين الوجدان، وموقف سياسي منها. إنه موقف من الكلمة عنده قاصدة صائبة. إنه موقف مناضل. وهل من الضروري نعت المناضل بالسياسي لتمييزه من الكاتب أو المفكر؟

والسياسة، بتعريفها الثوري، فعل تغيير. والثقافة أسسها. اما التاريخ، فيجري بحسب منطقه. لكنه منطق صراع ينتصر فيه من ينتصر له. لذا كان علم الثورة شرطاً للثورة، فيها وبها يتوقعن، أعني يتحقق. بيد أن دونهما ألف عقبة وعائق، بالنضال وحده تتخطى، في طريق الكادحين حسين مروة هذا الكادح من المهد إلى اللحد. وبين المهد واللحد تاريخ كفاح هو تاريخ حياة بكاملها. حياته أم حياة شعبه؟ حياته أم حياة حزبه؟

أذكره في خمسينيات تأميم القناة وخمسينيات سقوط الملكية في العراق وما يشبه الديمقراطية في الشام، وفي خمسينات الحرب الأهلية في لبنان. أذكره في مجلسه. واثقاً كان بالآخرين ـ لا بنفسه ـ وصديقاً لكل وافد. أذكره واتساءل: ما الذي كان يجذب الناس إليه؟ لعله شعاع الأمل يلتمع في عينيه، دوماً، برغم الشدائد. لعلها المحبة، وهي عنده فعل وفاء ونضال. اما الوفاء، فللقضية. وأما النضال، فمع الرفاق، نسغ حياته. هكذا كان يتكاثر. أليس جميلاً أن يكون الفرد أكثر من الفرد في كينونته ذاته؟ أذكره وأنجذب مع الآخرين إليه في حديث هادئ عن بلاد السوفيات، وعن أن النصر لنا في حركتنا الوطنية بقدر ما هو لنا في حركتنا الأممية، وعن أن المثقف له في الحركة الثورية موقع العين من الجسد. والعين ناقدة صادقة. تحاول وتحاور تتعلم من كل جديد ولا تكابر. أذكره في صفحات «الأخبار» وفي صفحات «الثقافة الوطنية»، يكتب ويساجل. ينقد ويؤكد. يتفانى في العمل في صمت.

باكراً حدد موقعه في حقل الكتابة وفي حقل السياسة، وألح، في حواره مع الآخرين، على ضرورة أن يكون للكاتب فيهما موقع، فكان عليه، كي يثبت ذلك أن يرى إليهما من موقعه فيهما الذي أعلنه، بالممارسة، دون إخفاء، إنه موقع مناضل. ذلك أن حقل الكتابة، كحقل السياسة، حقل صراع وتناقض فيه تختلف الأفكار باختلاف المواقع التي منها تنتج، والتي بينها تقوم. علاقات هي، بالتحديد، علاقات انتاج الأفكار. لهذه المواقع طابع اجتماعي هو نفسه طابعها الطبقي، سواء أكانت مواقع فكرية أم سياسية. محكومٌ إذن هو الفكر بضرورة إنتاجه، في شتى ميادينه، في علاقات أيديولوجية محددة من الإنتاج هي علاقات صراع تترابط بعلاقات سياسية تنعكس فيها، دون تماثل، في أشكال تختلف باختلاف الشروط التاريخية الخاصة بسيرورة الصراع الطبقي اما من يوهم نفسه والآخرين بأنه يبتدع فكراً هو للفكر، وفنا هو للفن، أو أدباً منعتقاً من كل موقع، ومن شبكة علاقات الانتاج الفكرية بين المواقع، كأنه الفرد الإله الخالق المبدع، لا على مثال ــ ففعل خلقه هو المثال، لأنه الأنا في مطلقه ــ فهو مخدوع مخادع. تكون الكتابة فاعلة بقدر ما تسهم في فضح الخدعة في وهمِ، بل في إيهام الايديولوجيات المسيطرة بسيطرة أنظمة الطبقات المسيطرة، وبإعادة الإعتبار إلى الواقعات في مجرى حركتها المادية إنها كتابة مناضلة. أما تلك التي تهيم، مثلاً، في حقل النقد الأدبي، بلا بوصلة ـ والبوصلة هي المنهج -، فهي كتابة مدّعية بأنها من خارج المواقع، وبأنها لهذا، الكتابة الموضوعية. لكنها، في واقعها الفعلي، الشكل المسيطر، في هذا الحقل، من الأيديولوجية المسيطرة. لذا، وجب النقد.

والنقد، بذهابه إلى الأساسي، يكون فاعلاً. والأساسي أن ممارسة النقد، في منهج، لا تنتج معرفة، بل تكرس الحقل الأدبي، بلا أفكاراً تتوارثها تلك الأيديولوجية المسيطرة. والمنهج يحدده، في نهاية التحليل، الموقع. فمن لا موقع له لا منهج له. (أو قل إن له موقع من يدّعي ألاّ موقع له، يتوارث عنه الأفكار بلا نقد) هكذا تصدرت قضية المنهج في الخمسينيات حقل النقد الأدبي، فكان القائل بضرورة المنهج طليعياً في قوله، وكان قول هذا ممكناً لأنه جاء من موقع مناضل. هذه هي المعركة التي خاضها حسين مروة. ورفاق له تحت راية المنهج الواقعي. إنها معركة فكرية. لكنها، في حينها، معركة سياسية خيضت دفاعاً عن مواقع الفكر المادي.

والحقيقة، إن اختيار هذا الحقل من حقول الصراع الطبقي لم يأتِ اعتباطاً. فالهجوم على مواقع ذلك الفكر استهدف ما ظنّه خصومه أنه نقطة ضعفٍ فيه، ما لبث أن استحالت، في ممارسات متنوعة من النقد في ضوء المنهج الواقعي، مرتكزاً لهجوم مضاد تأكدت فيه طليعية الفكر المادي في تأكيده ضرورة المنهج في ممارسة النقد الأدبي، وفي ربطه المنهج لموقع النظر في النص. أقول: هذه الممارسة هي نضال فكري. وأقول: هذا النضال ذو طابع النظرية المتميز سياسي متقدم، حتى لو كان مبتدئاً، متعثراً، مفتقداً أدواته النظرية المتميزة. فضيلته إقدامه، منفرداً، أو شبه منفرد، على مواقع أيديولوجية للخصم، عاتية بالتوارث، ظلت ربما، متماسكة، بقوة التقليد، فلم تتهافت، برغم إخضاعه لها للنقد، لكنه تجاسر، حيث رأى أن عليه أن يتجاسر، فأثبت أنه قادر على العراك من موقعه. هل كان سيمارس النقد الأدبي في أواسط الثمانينيات كما مارسه في أواسط الخمسينيات،

لـو كان عليـه أن يسـتعيد قديمـه، أو أن يقـدم علـى جديـد؟ سـؤال طرحـه حسـين مـروة علـى نفسـه فـي مقدمـة الطبعـة الثالثـة مـن كتابـه «دراسـات نقدية في ضوء المنهج الواقعي»، فكان جوابه الصريح: لا.

كان سـيكتب، علـى حـد تعبيـره، «النقـد بطريقـة جديـدة عـن الطريقـة التـي كتبـت بهـا فصولـه، لكـن الاختـلاف لـن يمـس وأضيـف: ولـن يمـس المنهج ذاته".

أضيف: ولن يمسّ، بالطبع، الموقع الذي منه ينطلق.

راسـخاً كان فـي فكـره، منـذ أن ولـد إلـى الوعـي الـذي سـيكون وعيـه. وفـي وصيتـه إلـى أمـام المؤتمـر الخامـس للحـزب، عـاد يؤكـد مـا انطلـق منـه: ضـرورة أن تكـون العلاقـة عضويـة بيـن الفكـر والعمـل، بيـن المعرفـة والثـورة. خـاض معركـة الواقعيـة فـي حقـل النقـد الأدبـي، وسـيخوض معركة الماديـة فـي حقـل الدراسـات التراثيـة. وكان فـي كل آن يخـوض معركـة الحريـة والديمقراطيـة مـن أجـل التقـدم والاشـتراكية. أنظـر فـي سـيرته فـأرى خطـاً مـن النضـال هـو واحـد فـي كل حقولـه صـراع يسـتديم، بـه التاريـخ يصنـع، والثائـرون ورثـة الثائريـن فـي كل عصـر يستشـرفون الآتـي، يستكشـفون الماضـي، وفـي الحاضـر يسـتنبطون الحيـاة بروميثيوسـيون هم، يتحدون المستحيل، ومنه يستخرجون الممكن بضرورته.

عقلانيـون هـم، متسـقون فـي عقلانيتهـم. لكـن العقـل عندهـم ليـس واحداً، بـل متعـدد، متخالـف حتـى فـي الديـن، ومنـه الإسـلام. وهـل يسـتوي عقـل الغيبييـن وعقـل الماديـيـن؟ هـل يسـتوي عقـل المسـتغِلين وعقـل المسـتغَلين؟ عقـل الظلـم وعقـل العدالـة؟ عقـل العلـم وعقـل الجهالـة؟ للظلامييـن السـلفيين العقـل تسـويغ لما مضـى وإعـلان لـه بإعـلان قدسـيته ورفعـه إلـى مطلـقٍ بـه يسـتحيل نموذجـاً لآتٍ هـو تكـرار لأولـه. أمـا للمتنوريـن، فالعقـل عقـل تغييـر القائـم بسـلطة نظامـه، وإنتـاج القـادم بضـرورة منطقـة، فـي صـراع يأخـذ فـي كل مرحلـة شـكلاً يختلـف عنـه فـي المرحلـة السـابقة أو اللاحقـة، لكنـه إيـاه فـي كل مرحلـة. صـراع بيـن جديـد يولـد بالقسـر، وقديـم يتقـادم. هكـذا ينجلـي التـراث تراثـات تتصـارع فـي واقعهـا الغابـر نفسـه بصـراع التيـارات الفكريـة والقـوى الاجتماعيـة الراهنـة. لا مبالغـة فـي القـول إن الصـراع بينهـا فـي واقعهـا ذاك محـدد بواقـع هـذا الصـراع الراهـن، أو قـل للدقـة، إنـه مضاعـف التحديـد بـه. فمـن الباحثيـن مـن يـرى فـي التـراث نبراسـاً يسـتضيء بـه الحاضـر فـي إيجـاد حلـول لمعضلاتـه، كأنـه عاجـز بذاتـه عـن إيجادهـا ومـا عجـزه الموهـوم هـذا سـوى تأكيـد لعجـز العقـل عـن الوصـول بذاتـه إلـى معرفـة ليسـت ممكنـة فـي الفكـر السـلفي إلاّ بالديـن، بمـا هـو شـرع، أو علـى حـد تعبيـر الغزالـي، بنـور يقذفـه اللـه فـي الصـدر هـو مفتـاح المعـارف كلهـا. ومـن الباحثيـن فـي التـراث مـن يـرى ضـرورة إحيائـه أو اسـتلهامه، عمـلاً بقولـه تعالـى: «يحيـى العظـام وهـي رميـم» ومنهـم مـن يرفضـه بالقطـع، ويدعـو إلـى وأده.

أي موقـف هـو الموقـف العلمـي مـن التـراث؟ أي موقـف هـو موقـف الفكر المادي المناضل؟

لقـد تحـددت مشـكليّة التـراث، ومـا تـزال تتحـدد عنـد البعـض، بـل عنـد الكثيريـن، فـي تلـك الصيغـة الانتقائيـة النفعيـة التـي هـي فـي اتسـاق كلـيّ مـع الفكـر البرجـوازي المسـيطر. وإذا بالسـؤال يطـرح فـي شـكل آخـر، وعلـى أرضٍ معرفيـة مختلفـة. ليـس التـراث لإحيائـه، أو وأده، أو اسـتلهامه. إنـه موضـوع معرفـة، مـن حيـث هـو، بالتحديـد، مـاضٍ مضـى، لا وجـود لـه فـي الحاضـر إلاّ فـي آثـار منـه هـي مـادة أولـى فـي سـيرورة انتـاج معرفتـه. ومعرفتـه تختلـف باختـلاف أدوات انتاجهـا، وباختـلاف موقـع الفكـر الـذي ينتجهـا فـي حقـلٍ معرفـي محـدَّد هـو حقـل علاقـات انتاجهـا. لئـن كان التـراث فـي واقعـه المـادي الغابـر حقـلا لصـراع طبقـي كان يظهـر فـي شـكله الرئيسـي المسـيطر فـي الفكـر وفـي السياسـة مظهـر الصـراع الدينـي، فهـو ففـي وفـى واقعـه المعرفـي الراهـن أيضـاً حقـل لصـراع طبقـي آخـر لعلـه أشـد احتداماً، مـنَ حيـث هـو، بالضبـط، صـراع حـول السـلطة فـي الفكـر وفـي السياسـة، ومـن حيـث هـو، تالياً، فـي وجهـه الرئيسـي، صـراع ضـد مـن غلـب فـي الأول فكتـب التاريـخ تأييـداً لغلبتـه. ومـا هـذا هـو التاريـخ، بـل تأويـل لـه مـن موقـع الطبقـات المسـيطرة التـي تسـعى فيـه، حتـى فـي الحاضـر، إلـى تأبيـد سـيطرتها بتعميمهـا علـى التاريـخ فـي ماضيـه ومسـتقبله. أيكـون التـراث بعـد هـذا واحـداً؟ أيكـون محايـداً، وهـو الـذي ينحـاز دومـاً إلـى مـن ينحـاز إليـه، فـي الشـكل نفسـه الـذي فيـه ينحـاز إليـه. وهـل التـراث فـي فكـر الظلامييـن أو السـلفيين مـا هـو فـي فكـر المتنوريـن أو الماديـين؟ إنـه محكـوم بضـرورة اختلافـه، بينـه فـي الأول، وبينـه فـي الآخـر. لقـد وصلنـا التـراث ــ والـكلام عليـه يقتصـر علـى الثقافي منـه بخاصـة ــ عبـر فكـر مسـيطر تملكـه بمعرفـة ليسـت معرفـة، بـل إسـقاط لهـذا عليـه، فأتـى علـى صورتـه، رجعيـاً بفكـر الرجعيـة، غيبيـاً بغيبيتـه، فانحصـر فيـه، كأنـه الفكـر المطلـق، واحـداً يتكـرر فـي تكـرار الماضي وتوق الحاضر إليه توقه إلى نموذجه.

بنقـد هـذا الفكـر وتراثـه تبتـدئ معرفـة التـراث. ومـن هـذا النقـد ابتـدأ حسـين مـروة، مـن موقعـه فـي الحاضـر كمناضـل، بحثـاً فـي التـراث هـو محاولـة فـي إنتـاج معرفتـه. والسـؤال هـو التالـي: هـل الموقـع ذاك ضروري لإنتـاج هـذه المعرفـة؟ ألا يصـح اعتـراض المعترضيـن علـى منهـج هـذا البحـث بقولهـم إن التـراث لا يُعـرف إلا بفكـر ينبثـق عنـه هـو فكـره؟ كالإسـلام لا يُفهـم إلا بالإسـلام ومـن موقـع نظـر الاسـلام إلـى ذاتـه، فـي تماثلـه بذاتـه فـي المطلـق؟ إنـه اعتـراض علـى المنهـج فـي مبدئـه، قبـل أن يكـون اعتراضـاً علـى البحـث فـي آثـاره. لـذا وجـب الحسـم فـي أمـر المنهـج أولاً، ثـم فـي أمـر البحـث وآثـاره، تالياً. وعليـه أقـول: إن المعرفـة التـي ينتجهـا فكـر محكـوم فـي مقاربتـه التـراث بمنطـق التماثـل ليسـت فـي حقيقتهـا الفعليـة معرفـة بقـدر مـا هـي صـورة مـن هـذا الفكـر تنعكـس فـي مـرآة ذاتـه، مـن موقعـه فـي حاضـر هـو الماضـي إيـاه، واحـداً يتكرر بسلطته.

بفكـر مـادي تاريخـي تنتـج معرفـة التـراث، لأنـه فكـر الاختـلاف نفسـه والإختـلاف قائـم بيـن التـراث والحاضـر، وهـو بماديتـه تاريخـي، مـادي بتاريخيـه، ومعرفتـه لتمـر لمعرفـة الإثنيـن، تبـدأ بإقامـة الحـد المعرفـي الفاصل بينهما، من موقع يسمح بإقامته.

*** المصـدر: مجلـة الطريـق، عـدد حزيـران 1988 (كلمـة أعدهـا الرفيـق الشـهيد مهـدي عامـل لإلقائهـا فـي النـدوة الدراسـية التـي قررهـا المجلـس القومـي للثقافـة العربيـة بعـد شـهرين مـن اغتيـال الرفيـق الشـهيد حسـين مـروة، تـم تأجيـل النـدوة لاسـتكمال شـروط إعدادهـا، وخـلال فتـرة التأجيـل اغتالـت الأيـدي المجرمـة مهدي عامل، ألقيت الكلمة عنه في الجلسات الافتتاحية للندوة التي انعقدت في بعقلين بين 19 و22 شباط 1988).**

من حسين مروة:
أوراق من مسيرته وكلمات بمنزلة الوصية

محمد دكروب

تمهيداً لقراءة هذه الأوراق، أوراق سمراء من ذلك الورق الذي كانت تطلع عليه الصحف عندنا، كتب عليها حسين مروة، بخطه الرفيع، أشياء ومعلومات عن حياته في العراق. يعود تاريخ كتابة هذه الأوراق إلى أواخر عام 1979 أو أوائل عام 1980.

ففي ذلك التاريخ كنت قد طلبت من أبي نزار أن يكتب لي فقرات في نقاط مكثفة، عن الفترة التي قضاها في العراق منذ ذهب للدراسة في النجف، حتى أنهى هذه الدراسة، وتحول إلى الصحافة والكتابة الأدبية والتدريس، بدل أن يتابع حياته شيخاً من علماء الدين، ثم عن مشاركته في الحياة السياسية العراقية العامة. وتعرفه على الشيوعيين هناك، وصولاً إلى قرار نوري السعيد بإبعاده عن العراق عقاباً له على مشاركته الشعب العراقي في معاركه ضد الاستعمار البريطاني وصنائعه أمثال نوري السعيد.

تلك الفترة من حياة حسين مروة كنت أعرفها بخطوطها العامة، وأردت منه أن يكتب لي بعض التفاصيل والمراحل بتواريخها أما حياة أبي نزار منذ عودته إلى لبنان فلعلني أعرف الكثير من تفاصيلها أكثر من غيري، فنحن معاً منذ عام 1949 حتى يوم استشهاده الفاجع (في 17 شباط 1987).

كنت أحضر في تلك الفترة من عام 1980، مقالة طويلة هي مزيج من الذكريات والدراسة، والحوارات وما يشبه السيرة، أصور فيها جوانب عدة من مسيرة حسين مروة، وكنا نعد في ذلك العام، للاحتفال بعيده السبعين، وكان «مشروعي» هذا يتطلب بعض التفاصيل عن « الفترة العراقية» من حياة أبي نزار وإشارات إلى كتاباته، فوعد أن يسلمني هذه الأشياء، مكتوبة بعد اسبوع. حسين مروة كعادته وفي بوعده فسلمني هذه الأوراق قبل أن ينتهي الاسبوع. أما أنا فقد أتيح لي أن أكتب فصولاً عن حسين مروة هي في الواقع فقرات من مشروعي الأوسع ونشرت هذه الفقرات في صحافتنا ومنها «النداء» و«الطريق» وكذلك في الكتاب الذي صدر عام 1981 بعنوان حسين مروة شهادات في فكره ونضاله، وضم عدداً من الدراسات والمقالات لعدد من الكتاب وضم عدداً من الدراسات والمقالات لعدد من الكتاب والباحثين العرب. لقد استخدمت قليلاً من المعلومات والملاحظات الواردة في هذه الأوراق، ولكنها ظلت تنتظر أن أفي بوعدي لنفسي بتحقيق مشروعي الأوسع ذاك، وكنت أحب أن أنفذ مشروعي الأحب هذا، خلال حياة أبي نزار نفسه، فقد تعودنا معاً، أن نقول رأينا صريحاً في كل ما يكتبه كل منا، وكانت ملاحظات أبي نزار، دائماً، تسدد خطاي وتضيء الطريق. وبدأت فعلاً، مع أبي نزار بعض خطوات التمهيد، وكان الحافز هذه المرة، إذاعة صوت الشعب، اتفقنا أن أدخل في حوار طويل مع أبي نزار يتيح لنا تسجيل مسيرته بصوته، منذ البدايات الأولى مروراً بالفترة العراقية، وحتى نصل إلى الأيام التي بدأنا فيها العمل معاً، فاتفقنا - هنا ـ أن نتذكر، معاً الأحداث والتفاصيل والأشخاص والكتابات والمواقف الحرجة والمواقف الصعبة والطرائف، فيستثير كل منا ذاكرة الآخر، فتتكامل اللوحة..

عدت إلى هذه الأوراق لتكون فقراتها قاعدة للدخول في الحوار حول التفاصيل والقضايا والمراحل. وكنا سنبدأ بعد انعقاد المؤتمر الخامس للحزب الشيوعي اللبناني، هكذا قررنا معاً. ولكن المعارك اندلعت في بيروت.. والقتلة تسللوا إلى بيته تحت جنح هذه المعارك، وارتكبوا الجريمة التي لا يزال وقعها يدوي في أنحاء الوطن العربي كله وفي أنحاء العالم، وسيظل يدوي في الزمان، يدين القتلة ويمجد حسين مروة الشهيد الباقي، ويروي مسيرته الملحمية. اختلف الوضع وتغيرت صورة «المشروع» كله...

والكتابات عن فكر حسين مروة وعن مسيرته سوف تتكاثر ولكن إذا كان متاحاً للباحثين في كتب حسين مروة، الصادرة حتى الآن، الحصول على هذه الكتب، فأن المصادر عن مسيرة حسين مروة وتفاصيلها، محدودة جداً حتى الآن. فرأيت من الضروري نشر هذه الأوراق الآن، ففي فقراتها ما يساعد الكتاب والباحثين، في تحديد ملامح ومحطات مرحلة مهمة جداً، وأساسية في حياة حسين مروة في هذه الأوراق نفسها، مرحلة التأسيس المزدوج لتفكيري: تأسيس الثقافة التراثية وتأسيس الثقافة التقدمية، والإشارة هنا إلى التقائه مع الشيوعيين في العراق، وبدايات تبنيه الفكر الماركسي (وسوف تكون دراسته للتراث لاحقاً، وعلى الأخص في كتابه التأسيسي والنزعات المادية في الفلسفة العربية ـ الإسلامية». هي البلورة الرائعة للتفاعل والتمفصل بين هذين المنبعين الأساسيين ـ والتأسيسيين ـ في فكر حسين مروة، التراث العربي الإسلامي، والفكر الماركسي).

تكشف هذه الأوراق، كذلك عن تلك الخاصية الأساسية في مسيرة حسين مروة الكفاحية، وهي: أنه أتى إلى الحزب الشيوعي والماركسية من قلب المعركة الوطنية نفسها، المعركة ذات الطابع التحرري (ضد الاستعمار الإنكليزي) وذات الطابع القومي أيضاً، فإن وثبة الشعب العراقي عام 1948 كانت كذلك ذات طابع قومي عربي عام، بوصفها معركة ضد أحلاف عسكرية استعمارية كانت تهدف إلى تكبيل البلاد العربية، كلها. وكانت كما جاء في هذه الأوراق ـ «مقدمة لعقد عدة أحلاف عسكرية في الشرق الأوسط، ونواة فعلية لحلف بغداد بعد ذلك». «المعلومات» الواردة في هذه الأوراق تلتقي مع «معلومات» وردت في حديث طويل، ومهم أجراه الشاعر عباس بيضون مع حسين مروة ونشر في جريدة « السفير» ابتداء من 1985/9/18 على مدى ستة أعداد، وجعله بعنوان «ولدت رجلاً وأموت طفلاً» وهو، حتى الآن، مصدر أساسي من مصادر مسيرة حسين مروة. ـ كذلك هناك حديث طويل، حول «الفترة العراقية» هذه، أجراه معه محمد أبي سمراء، ونشر في مجلة «المسيرة» الثقافية (كانون الثاني عام 1981) وكان بعنوان «حسين مروة يتذكر». ـ مصدر آخر ذكرناه في سياق هذا التقديم، هو الكتاب الصادر، عام 1981، عن دار الفارابي بعنوان « حسين مروة ـ شهادات في فكره ونضاله، لعدد من الكتاب والباحثين. وفي جمعية الباحث الصديق الدكتور أحمد علبي تسجيل لحوار طويل أجراه مع حسين مروة وملأ أكثر من عشرة أشرطة، وعندما يتاح لهذا الحوار أن يرى النور، في الشكل الذي يرتئيه الدكتور، علبي سيكون ولا شك من المصادر المهمة جداً لمسيرة حسين مروة على الصعد الأدبية والفكرية والكفاحية معاً. مصدر مهم جداً، هو مقالة بقلم حسين مروة نفسه هذه المرة، بعنوان «من النجف دخل حياتي ماركس» نشر في «الطريق» حزيران عام 1984، والمقالة هذه مكتوبة بصيغة كأنها فصل من السيرة الذاتية التي كان أبو نزار يعتزم كتابتها. مصادر أخرى لمسيرة حسين مروة نجدها في العديد من الأحداث والحوارات معه، المنشورة في العديد من المجلات والجرائد اللبنانية والعربية، وهي أحاديث لا بدّ من استكمال جمعها كلها وتنسيقها، وبالتالي نشرها، فهي حسب علمي، تشكل أكثر من كتاب واحد، وكل كتاب في موضوع معين. وتظل كتابات أبي نزار نفسه، وعلى الأخص تلك التي اتخذت شكل المقالة القصصية سواء في مختلف صحفنا التقدمية أم تلك التي كان يكتبها، خلال الخمسينيات ـ في جريدة «الحياة» تحت عنوان «مع القافلة» هي «المصادر» الأغنى بالتلاوين والمشاعر ورسم الأجواء والشخصيات في حياة حسين مروة. في هذه الأوراق يشير حسين مروة،

إلى مصدر مهم جداً في سيرته الذاتية: مقالات كان ينشرها في مجلة «الهاتف» النجفية (بين أعوام 1934 و1940).. « وكثيراً ما كانت كتاباتي هذه لمجلة «الهاتف» يقول أبو نزار ــ تتخذ الشكل القصصي، ويغلب على هذا الشكل طابع السيرة الذاتية». ولكن هذه الكتابات غير موجودة في «أرشيف» حسين مروة، وكثيراً ما كان يحدثني عنها بحسرة، آملاً أن يحصل عليها في يوم من الأيام، وكان يخشى بما يشبه الهاجس التنبؤي، أنه لن يحصل عليها في حياته... فكتب لي، في هذه الأوراق نفسها، وبين هلالين، كلمات موجهة إلي هي بمنزلة الوصية. بعد استشهاده ــ أعيد قراءة هذه الكلمات، مرات ومرات، ودائماً أشعر بانهمار الدموع في داخلي، وأدخل في الحزن الصافي، ويتململ في روحي سؤال يحمل ملامح من الغيب: - لماذا كتب أبو نزار هذه الكلمات بمثابة وصية؟ هل كان يهدس؟ هل كان يعرف؟ يخاطبني أبو نزار: -«يؤلمني أنني لا أملك وثائق هذه الكتابات، وكم أتمنى أن أحصل عليها لأنشرها في كتاب مستقل، لأنها تمثل مرحلة مهمة في حياتي الأدبية والفكرية ــ وأخشى أن لا أحقق هذه الأمنية قبل نهاية عمري ــ إذا حدث ذلك يا محمد، فإنني أرجو منك تحقيقها، أو فلتكن «الطريق» هي التي تتولى ذلك.. هذه الإشارة أتركها عندك ــ يا محمد ــ بمنزلة وصية». سنحصل على هذه الكتابات، حتماً يا أبا نزار.. ربما أنا، وربما غيري.. من يدري؟ ولكننا، نحن، سوف ننفذ الوصية أيها الغالي..

وهذه هي الأوراق ــ وقد رأيت من الضروري أن أضيف إليها (بين الفقرات، وبحرف مختلف) تعليقات ومعلومات وإشارات، توضح بعض الجوانب، حتى تتكامل الصورة ــ (م. د.) يا بني.. عليك أن تصير عالم دين، مثلي.

* مات والدي الشيخ علي مروة عام 1920 وعمري اثنتا عشرة سنة، وهاجرت إلى النجف سنة 1924 خلال السنوات الأربع بين موت الوالد والهجرة إلى النجف، كنت أتردد على علماء الدين في القرى والبلدان الجنوبية لتأسيس دراستي الدينية وكان يحدوني إلى ذلك طموح ولهفة غرسها بي الوالد منذ طفولتي. الطموح إلى أن أصبح خليفة والدي كعالم ديني يتمتع باحترام كبير لدى مختلف الأوساط الاجتماعية الجنوبية.

* كنت في الثانية عشرة من عمري حين مات والدي، وكنت في السادسة عشرة حين هاجرت إلى النجف لطلب العلم.

كان والدي هو نفسه يحلم أن اكون خليفته، لذلك كان يعدني بنفسه لهذه المهمة، كان يلزمني أن أبقى معه في البيت وفي السفر وأنا ابن ثماني سنوات، حتى لقد ألبسني العمامة باكراً، في هذه السن، بل أضاف إليها الجبة، حتى صرت بشكل كاريكاتوري مثيراً للضحك والسخرية، تصور ابن 8 سنوات بهذه الصورة (عمامة وجبة..) لذا كنت أخجل من الظهور بين الناس في المجتمعات وفي الشوارع.. كانت تبلغ المرارة في نفسي مبلغ الشعور بالضعة والنقص.. من هنا نشأت في داخلي عقدة خجل بقيت فاعلة حتى هذه اللحظة، فأنا لا أزال أتهيب الدخول في المجتمعات، وأتهيب الكلام بين الناس، برغم كل الظروف التي الجأتني وتلجئني الكلام...

ضوء... نجد أحد الأسباب التي جعلت حسين مروة يطلق على سيرته الذاتية، التي كان يزمع كتابتها ــ عنوان «ولدت رجلاً وأموت طفلاً» فعند تلك السنوات الأولى، خسر حسين مروة طفولته، فأختبأ الطفل في أعماقه.. ولكن هذا الطفل عاد للظهور، نضراً وبريئاً وجميلاً، مع دخول حسين مروة مرحلة الرجولة وامتلاك حريته الشخصية في الاختيار.. هذا الطفل يعرفه كل الذين عرفوا أبا نزار- م. د.

"حين ذهبت أول مرة (1924) إلى النجف كنت قد أنهيت دراسة النحو في الكتب القديمة مثل ألفية إبن مالك» وكتاب «المغني» (مغني اللبيب) لإبن هشام.. مع العلم أن دراسة النحو هي القاعدة الأساس في دراسة علوم الدين حسب نظام الدراسة في النجف والأزهر.

ضوء: هذا العام (1924) الذي بدأت معه هجرة حسين مروة إلى النجف، هو العام نفسه، الذي تأسس فيه الحزب الشيوعي اللبناني.. وكانت هذه «المصادفة» في أساس مقالة قصيرة كتبها حسين مروة فيما بعد هي من أجمل وأعمق ما كتبه من مقالات فنية. (المقالة بعنوان «في عيدك الخامس والخمسين ــ هذه قامتي أيها الحزب» منشورة في «النداء» 20 تشرين الأول 1979). في هذه المقالة يرى حسين مروة أن بداية رحلته إلى النجف هي، في الوقت نفسه، بداية رحلته إلى الحزب الشيوعي.. أي: أن الرحلة إلى الحزب بدأت منذ بدأ الحزب نفسه رحلته الكفاحية (العام 1924) «من واقع الوطن إلى حلم الوطن».. ويسخر حسين مروة من أولئك الذين يجدون مفارقة وتناقضاً بين الرحلتين. « لكن. لو أنهم يقرأون الواقعات في حركة تاريخيتها الاجتماعية الكلية لا في حركة مكانيتها الساذجة والجزئية... لو أنهم يقرأون العلاقة بين القطبين النقيضين، بدل أن يقرأوا المسافة وحدها بين القطب والقطب(...) إذن، لقرأوا بداية رحلتي إلى المعرفة، في ذلك العام ذاته، أنها بداية رحلتي إليك، أيها الحزب. مثلما قرأوا نهاية الرحلة نفسها، أنها نهاية البحث عنك وبداية الوصول إليك، ويؤكد حسين مروة القول مرة أخرى: «نعم» إن بداية الرحلة إلى المعرفة، هي ــ بمنطقها الصحيح ــ بداية الرحلة إليك ــ ثم يستخلص حسين مروة هذه الإضاءة المهمة في سر تلك العلاقة الصحيحة بين التراث والأداة المعرفية المعاصرة، لاستيعابه..». ففي القبض على «سر العلاقة الصحيحة» هذه يتميز إنجاز حسين مروة ومجمل نتاجه الفكري والفلسفي والأدبي على السواء ــ م. د.

* بدأت الدراسة في النجف إذن، من المرحلة الثانية، أي من علم المنطق (المنطق الصوري ــ أرسطو).

*عرفت في النجف (في أوساط الطلبة والأساتذة) بحسن السيرة، أي من حيث جدية الدراسة والسلوك... وبقيت منظوراً إلي هكذا حتى آخر علاقتي بدراسة الفقه وأصول الفقه.

* أما السلوك فقد تغيّر نظر الرضا علي بشأنه إلى نظر السخط والنقد الجارح.. ما سبب ذلك؟ هذا السؤال يثير مسألة (تاريخ حياتي الحقيقي).. ومن هنا يبدأ «الموضوع». من ابن «مطيع» للتقاليد.. إلى ابن «ضال»! - مع حكاية القطعة الأدبية الأولى..

* سنة واحدة وحيدة، هي السنة الأولى من إقامتي في النجف، كنت فيها «إبناً مطيعاً» لنظام الدراسة هنا، ولأفكار القوم، ولطقوسهم الدينية والأخلاقية والفكرية والاجتماعية، لكن، ما أن انقضت هذه السنة الأولى حتى رأيتني « الإبن الضال» عن كل ذلك ، الكاره لكل ذلك، لماذا؟. يصعب لي الآن تحديد الأسباب.. لكن أتذكر بعض الحوادث:

1- أول كتاب أدبي (شعري) اشتريته من سوق المزاد هو «ديوان السيد إبراهيم الطباطبائي» من شعراء النجف الكلاسيكيين، أحدث شرائي هذا الديوان نقداً من زملائي، لأن ذلك في نظرهم خروجاً على نظام الدراسة، فالطالب يجب أن ينصرف إنصرافاً تاماً «للعلم» وحده.. أما لماذا اشتريت هذا «الديوان» بالذات فذلك مصادفة فقط.. لكن تبين لي أن وراء هذا الحادث ميلاً للأدب كان خفياً، فظهر بهذا الشكل «التافه»..» فاتحة رديئة»! ثم كرت تفاصيل العلاقة مع الأدب، ثم كانت « قصة» طريفة لأول ممارسة كتابية ابداعية، وأول نشر: ذات مساء، في السنة الثالثة من وجودي في النجف، شعرت بحاجة إلى نزهة خارج البلدة، وهناك أحسست بأن يدي تمتد للقلم والورقة وتكتب شيئاً. كان ذلك صوراً وجدانية تناجي نجمة الليل بأفكار من وحي ظروف «القهر» الطقسي النجفي.. لم أكن أفكر أن ذلك يعد «أدباً» وأنه يدخل في باب «النشر» في الصحف... لكن أحد الزملاء اللبنانيين جاءني زائراً ذات يوم، وبينما أعد له الشاي خارج الغرفة مد يده إلى ما تحت المخدة حيث توجد «المقالة ــ الخريدة». فقرأها وعند عودتي إلى الغرفة أخذ يثني ثناء حاراً على هذه «الخريدة» وأخذ يحرضني على نشرها في جريدة «النجف» الاسبوعية حتى أقتنعني.. وفعلاً انتشرت تلك المقالة الأولى لي في جريدة «النجف» بعنوان «أنا ونجمة الليل». وبإمضاء «ساهر» (سنة 1926).. وحين انتشرت المقالة اشترى حضرة الشيخ نحو (20) نسخة من الجريدة ووزعها على أساتذتي وأصدقائي المشايخ بقصد التشنيع والتجريح (أنظروا هذا عصري، أي هرطوقي).. لكنه أحسن إلي برغم أنفه.. منذ ذاك انطلقت وبدأت انشر في «النجف».. ثم في الصحف العراقية الأخرى.

2- (نفسياً) أحسست أثناء الاستعداد لتسفيري إلى النجف بالمهانة، جاء السيد عبد الحسين شرف الدين إلى الزرارية، بلدة آل مروة الأولى، ليجمع «خرجية» السفر

لإبن الشيخ، ليصير «شيخ» العائلة. كنت حاضراً مجالس «الجميع» في الزرارية، وشهدت محاولات الناس للتخلص من «الضريبة» ومحاولات السيد قمع محاولاتهم تلك المشروعة.. لكنني أثناء «العملية» لم أتمثل شعور المهانة، لأن «وعيي» كان منصرفاً كلياً إلى الاستمتاع بشعور الفرح لكوني سأخطو خطواتي الأولى نحو طموحي الذي أنشأني الوالد عليهن وبعد أن «راحت السكرة وإجت الفكرة» بدأ شعور المهانة يتسرب إلى نفسي ويقلقني، ويدفعني للتمرد، على «طموحي» نفسه.

* عامل العلاقة بالأدب والكتابة الأدبية وعامل الشعور «بالمهانة» من حياة « الشيوخ» ثم عامل القمع النفسي الذي يمارسه «نظام» الدراسة النجفية - كل ذلك أقام حاجزاً هائلاً بيني وبين «الوضع» الذي وضعت فيه بـ «الوراثة»... - من هنا بدأ الصراع في نفسي: أأبقى حتى النهاية والتغلب على المصاعب لأجل الوصول إلى مكانة دينية استطيع أن استخدمها لتغيير ما (الأفغاني، محمد عبده) أم أخرج نهائياً من هذا «الأسر» بطريقة حاسمة؟. - لقد حسمت الموقف أول الأمر، وتركت النجف، ولاحقتني التهم المتعددة المتنوعة، في جبل عامل، كما في النجف، جئت إلى لبنان سنة (1928).. لكن ضاق بي أفق الحياة، فالطرق كلها مسدودة بوجهي، برغم أن الأوساط الأدبية في جبل عامل كانت تحوطني بالتقدير والتكريم، وكنا نتحرك أدبياً في المناسبات، بمضامين سياسية.

* لقد اضطررت تحت وطأة ظروفي «العدمية» أن أعود إلى النجف، وعدت إلى الصراع من جديد... فترة القلق والصراع والتفتيش ــ خلال هذا الصراع من جديد قذفت بي الظروف إلى مدينة «العمارة» في جنوب العراق، لأكون أميناً لمكتبة عامة تحت إشراف الشيخ حبيب العاملي حيث كان يحتل مركز زعامة دينية ضخمة، فقد انتدبني هذا الشيخ للمكتبة كشيخ «عصري» يستقطب أوساط المثقفين والطلاب العصريين حول مشاريع كانت تناهض تحرك البروتستانت الأميركان في تلك المنطقة، وفعلاً استطعت تحقيق هذا الاستقطاب في وقت لا يتجاوز الاسبوعين باللقاءات والمحاضرات.. لكن «الشيخ» برغم هذا النجاح، فاجأني ذات يوم بـ «الفصل» من إدارة المكتبة بحجة أني أنشر الإلحاد بين الشباب، مع أنه كان يطلع على محاضراتي ويوقع عليها بالموافقة مع إضافة كلمة «أحسنت» بل كان شديد الفرح بما كنت أفعل.. وقد ظهر بعد يومين من «فصلي» أن المسألة تتعلق بتوظيف قريب له مكاني، لقد ثار شباب المدينة (العمارة) على الشيخ وأحاطوني بالعناية واستعدوا لفتح ناد جديد أتولى نشاطه، ثم أقاموا لي حفلة تكريم قدموا لي خلالها قلم حبر ذهبياً هدية... فلم أوافق على الإقامة في المدينة، وأصررت على الذهاب إلى بغداد للبحث عن عمل، وتطوع مدير المدرسة الثانوية الرسمية للذهاب معي إلى بغداد لمساعدتي في تهيئة العمل: وفعلاً أمكن الارتباط بإحدى المدارس للتدريس فيها، وأصبحت أنام في المدرسة (نسيت القول بأنني كنت أنام في غرفة في المسجد أثناء إقامتي في مدينة العمارة).

* خلال وجودي في بغداد، بهذه المرحلة (1929). حصلت مصادفة غريبة ومفاجأة مدهشة: فقد وصلتني رسالة من أحد الأقارب (مهاجر في الأرجنتين)، وفي الرسالة تشيك بعشرين ليرة استرلينية (قيمة كبيرة حينذاك) ويقول إن هذه القيمة مساعدة لي على طلب العلم الديني، فكتبت للرجل حالاً أنني خرجت من النجف وتركت طلب العلم، ولذا استرجع القيمة، كي لا أخدعك.. والغريب أن الرجل عاد وكتب لي إن القيمة لك مهما كان طريقك.. - هنا فكرت: أن هذه الفرصة ثمينة لتغيير وجهة ثقافتي... فقد كانت كلية الآداب وكلية الحقوق في جامعة دمشق تقبلان الدخول فيها لمن ينتسب إلى مدرسة ثانوية معينة دمشقية وينال منها شهادة بأنه تخرج منها (الكلية الوطنية ــ صاحبها منيف العائدي).. بهذه الطريقة تمكن من دراسة الحقوق والآداب كل من السادة محمد صفي الدين، حسن الأمين، عبد الرؤوف الأمين (فتى الجبل) شريف الحسيني.. إلخ. ــ حملت نفسي وجئت إلى دمشق للانتساب إلى هذه الثانوية سنة واحدة، والحصول على شهادتها والدخول إلى كلية الآداب، لكن صديقاً في بيروت حرضني على الذهاب إلى بيروت لتولي وظيفة التعليم في المدرسة العاملية (الإبتدائية) وأغراني ذلك، وضاعت الفرصة... زواج الحب... وأيام البطالة والفقر الرهيب.

* علمت سنة كاملة في العاملية وكان سرحان، كنا زميلين واختلفنا مع رئيس الجمعية، وفي نهاية السنة تركت بيروت والمدرسة العاملية، ذاهباً إلى دمشق للبحث عن عمل... وهناك وجدت العمل في جريدة «الشعب» اليومية وكان نصوح بابيل نقيب الصحافة السورية، سابقاً رئيساً لتحرير «الشعب» هذه... عملت اسبوعياً في الجريدة ثم طلبت الإذن بالذهاب إلى لبنان لأتزوج وآتي مع عروسي للاستقرار في دمشق.. وكانت «العروس» تنتظر هذا اليوم منذ ثلاث سنوات. إضافة في الحديث الطويل الذي أجراه معه عباس بيضون، ونشر في «السفير» يروي حسين مروة وقائع من اللقاءات مع إبنة بنت عمه فاطمة بزي (أم نزار، فيما بعد)... كان اللقاء سهلاً سواء في بيتنا أو في بيت والدها المرحوم الحاج محمد فاعور بزي... كانت الصلة ميسورة مقبولة، لم تتعرض لرفض أو اعتراض من الأهل، بل أن بعضاً من أهلها وأهلي كانوا يحبون هذه الصلة الوليدة بالرعاية ويسهلون لها أن تصل إلى غايتها، هكذا غدا حبنا معلنا واطلع عليه أمها وأخوالها... كان على الحب أن يصير إلى الزواج. ــ لكن الزواج لم يكن ميسوراً في مثل حالي وأنا العائد من النجف ناقماً محاصراً مجهول المستقبل والمصير»ــ وتم الزواج بعد ثلاث سنوات، في ظروف معيشية سيئة جداً وأشد صعوبة من السابق.

*رجعت مع العروس (أم نزار) إلى دمشق لأجد العمل قد «هرب» من يدي: بقيت ستة أشهر دون عمل والعروس تجهل هذا، وظلت تجهله عشرين سنة، أثناء ذلك ولد نزار في دمشق (1931) ووقائع «القصة» خلال إقامتي بدمشق (سنة ونصف السنة) كثيرة ورهيبة مأساوياً... إضافة: في الحديث نفسه إلى عباس بيضون، قال حسين مروة: «كتمت الأمر عن عروسي لئلا أربكها وداومت على الخروج صباحاً متظاهراً بأنني ذاهب إلى عملي بينما أنا في حقيقة الأمر أبحث عن عمل (...) كنت أجد بين حين وآخر عملاً جزئياً بأجر زهيد، كتصحيح كتاب، ولك أن تتصور الضائقة المادية التي كنت فيها، لكنني أود في هذا السياق أن اذكر مأثرة لعبد المطلب الأمين. فقد كان عبد المطلب آنذاك طالباً في مدرسة التجهيز في دمشق وكان قد تسلم لتوه قسط المدرسة من والده ليدفعه وإلاّ عرض نفسه للفصل، وأمام الحال التي كنت عليها، آثر عبد المطلب أن يعطيني القسط لتغطية نفقات ولادة نزار مجازفاً بمستقبله الدراسي (....) أطبقت علي الأزمة بوجوهها المادية والفكرية والنفسية، فآثرت العودة إلى بيروت..".

* بعد سنة ونصف رجعت إلى بيروت أبحث عن عمل. عملت محرراً في جريدة «العهد الجديد»... لصحابها خير الدين الأحدب، وكانت الجريدة يومئذ تخدم سياسة رياض الصلح، التي كان لها طابع السياسة الوطنية ــ العربية المناهضة للانتداب الفرنسي... ثم عملت أيضاً متمرنا على مهنة تجليد الكتب بإشراف السيد زين والد أحمد هاشم صاحب مكتبة هاشم المعروفة... إلى النجف من جديد .. وإلى الكتابة الأدبية،

* ضاقت الدنيا بي، والفقر أكل لحمي، وكان حسان قد جاء أخاً لنزار، وكنت أسمع حينذاك أن أحد علماء جبل عامل (السيد حسين محمود الأمين ــ والد هاشم حسين الأمين) يردد في مجالسته أنه يأسف لتركي طلب العلم في النجف، لأنه يأمل بي أن أصبح عالماً ضخماً، ويردد أنه مستعد لمساعدتي مادياً على العودة إلى النجف لو أنني أقتنع بالعودة. ــ إن ظروفي تلك، وهذه الحكايات التي كانت تبلغني عن السيد الأمين «أقنعتني» بضرورة العودة للدراسة في النجف.. وعدت (1934)، وكانت العودة ناجحة هذه المرة... أي أنني وجدت الاستقرار والطمأنينة، واستأنفت الدراسة بجدية تامة، باجتهاد لا نظير له بين طلبة النجف حينذاك... وزملائي الذين عاصروني في تلك المرحلة (الشيخ جواد مغنية، السيد هاشم معروف، الشيخ عبد الله نعمة رئيس المحكمة الشرعية الجعفرية العليا الآن) يشهدون بهذه الحقيقة كما يشهدون بغنى الحصيلة التي ظفرت بها من هذه الدراسة الجادة المجتهدة، حتى انتهيت من دراستي هذه بنجاح.

... ومن ديناميت ونار

حسين مروة

«من لحم ودم» زاوية يومية كان يكتبها الشهيد حسين مروة في جريدة «الأخبار اليومية» (جريدة الحزب الشيوعي آنذاك)... في 20 تشرين الأول 1960 كتب ــ في هذه الزاوية ــ مقالة بعنوان «... ومن ديناميت ونار»، هذا نَصّها:

هذه الحروف التي ننسجها هنا في جريدة «الأخبار» والتي ينسجها زملاؤنا الأعزاء في جريدة «النداء» إنما هي من نسيج لحمنا ودمنا حقيقةً، لا تخيّلاً، ولا ادّعاءً.. ولكن، هنا حقيقة ثانية أكبر من تلك، وأعمق، وأروع: - إنّ اللحم والدم اللذيْن يكسوان حروفنا هذه وهج الحق والصدق والثقة، ليسا هما لحمنا ودمنا نحن كتّاب هاتين الصحيفتين كأفراد أو كمجموعة من أناس هذا البلد تحيا بذاتها لذاتها وتكافح بذاتها لذاتها...

وإنما الحقيقة هنا.. الحقيقة الكبيرة، العميقة، الرائعة هي أننا بلحم شعبنا ودمه نحيا، ونعمل، ونكافح.. وهذا الوهج في حروفنا، وهج الحق والصدق والثقة ليس هو إلاّ الشعاع لهذه الحقيقة.. من لحم شعبنا ودمه هذه الحروف، من أشواق قلبه وعقله وضميره.. من مطامح جماهيرها الكادحة: عمالاً وفلاحين، وحِرَفيين، ومثقفين.. من عيون أطفاله ونسائه وشبابه وشيوخه، المتطلّعة إلى فرح العافية والأمن والخبز والعلم والسلم... في ضمائر الوطنيين الشرفاء العاملين في صفوفه لحصانة الاستقلال ومناعته ورفعته... من تقاليده الوطنية الكفاحية الأبيّة على كل طامع وفاتح، ومستعمِر، وباغٍ، أن يزرع في أرضه قدَماً راسخة، أو يركّز تحت سمائه رايةً غير راية استقلاله وحريته وكرامته وسيادته.. من هنا... من هذه الحقيقة لحمنا ودمنا، ومن هذه الحقيقة نسيج حروفنا كلّها في جريدتيْ «الأخبار» و «النداء».. ولولا أنّ ذلك كلّه حقيقة واقعة لا جَدَل فيها، لكان أمرنا على أعداء لبنان، أهوَن من أن يجهدوا جهدهم المسعور لحطم أيدينا وأقلامنا، وأن يستتروا بالظلام ليدسّوا إلى حروفنا أصابع المجرمين الجبناء بفتائل الديناميت واللهيب...! إنهم يفهموننا، إذن، كما نحن واقعاً وحقاً... وإننا نحن «نبارك» إذن فهمهم إيانا على حقيقتنا وواقعنا... وأما الديناميت واللهيب والرصاص فيا بؤسها وسائل لحطم أيدينا وأقلامنا ولإطفاء الوهج الصارع في حروفنا... ويا بؤس أعداء لبنان، أعداء شعب لبنان، يا بؤس ما زعموه وما قصدوه وما فعلوه ويا بؤس ما سيزعمون ــ بعد ــ وما سيقصدون وما سيفعلون!

الديناميت والرصاص في حروفنا، في كلماتنا... أقوى وأزخم وأنبل من أن يذوب وينطفئ حتى لو جمعوا كل الظالمين والمجرمين والمغامرين وجعلوا منها أطناناً من الرصاص والديناميت وجبالاً من اللهيب... ذلك لأن الديناميت في حروفنا واللهيب والرصاص في كلماتنا، من لحم شعبنا ودمه ... أما هم فمن عزلة ٍ باردةٍ بائسةٍ موحشة يغزلون بها غزْلهم الواهن ثم يوهمون أنفسهم أنهم يصنعون « ديناميت» و«رصاصاً» وأنهم يوقدون « لهيباً»... يا فرق ما بيننا وبينهم...

نحن قضية*

جورج حاوي

تعددت الأيدي... والهدف واحد.

إن طرحنا الفكري والسياسي هو المستهدف لأنه هو الأكثر استجابة لمصلحة الجماهير، هو الأكثر قدرة على التحول إلى تيار جارف يطيح بأشكال الممارسات الخاطئة.

نحن لسنا مخيماً، ولا طائفة، ولا منطقة جغرافية، ولا موقعاً عسكرياً...

نحن قضية، وقضيتنا ليست قضية حزب فقط، إنها قضية كل الوطنيين، قضية الوطن، قضية الأمة. ولم نكن في دفاعنا عن أنفسنا ندافع عن حزب، بل عن هذه القضية كما نفهم، ونعيش. كنا مجبرين على الدفاع عن أنفسنا...

لقد انتصرت أيها الحسين وسينتصر الصوت على كاتمه

... أما أنت يا شهيدنا الكبير فلن نرثيك، لن نقول فيك أكثر وأبلغ مما يقول لبنان، كل لبنان الذي لا يحب الظلام ولا العبودية. ولا أكثر مما يقول العرب، الذين رأوا في اغتيالك اغتيالاً لقضية التحرر ولقضية الحرية. كما لن نقول أكثر ولا أبلغ مما يقوله العالم، من أقصاه إلى أقصاه في أوسع موجة استنكار سبق ولقيتها جريمة.

كم أنت كبير أيها الشهيد وكم هي كبيرة قضيتك، خدمتها في استشهادك كما خدمتها في حياتك، فهنيئاً لك وفخراً. بك كبر الحزب وكبر لبنان. بك كبر الفكر الذي اعتنقت إلى درجة بات يخيف الظلام أكثر من أي وقت مضى.

انضممت إلى قافلة الشهداء الأبطال وعلى رأسه الشهيد الكبير الذي نحتفل هذا الأسبوع بالذكرى العاشرة لاستشهاده، كمال جنبلاط، وجاورت معروف سعد، وفرج الله الحلو، ونقولا الشاوي، وأحمد المير، وخليل نعوس وسهيل طويلة وشهداء المقاومة وسائر شهداء الحزب والقوى الوطنية، فهنيئاً لك. لقد انتصرت أيها الحسين.

وكما انتصر الدم على السيف في كربلاء سينتصر الصوت على كاتم الصوت في لبنان.

***(مقتطفات من كلمة القائد الشيوعي الشهيد جورج حاوي في مهرجان تشييع حسين مروة- نشر في «النداء» في 1987/3/12).**

بين الجد واللعب

ماهر أبي نادر

بستار غبار القانون الانتخابي تمرر الموازنة وتسقط سلسلة الرتب والرواتب

هناك ما يقارب العشرين مشروع قانون بين ايدي القوى السياسية في البلاد، والقاسم المشترك لكل هذه القوانين هو إقرار جميع هذه القوى بأنه لم يعد هناك من مفر من النسبية إن كنا نريد ان نبني وطناً لا مزرعة، ولكن زعماء معظم هذه القوى يعرفون جيدا أن بناء وطن يعني رحيلهم خاصة إذا اعتمدت النسبية بشكلها الصحيح، لذلك فهم يقولون شيئا ويمارسون ضده.

ولذلك، فأن كل الجهود منصبة اليوم على كيفية صناعة قانون نسبي يجهض النسبية ويمسخها ويجعلنا نلعن الساعة التي طالبنا فيها بالنسبية، ولأن اصدق السياسيين في موقفه المعادي للنسبية بكل اشكالها وحتى الممسوخة منها هو وليد جنبلاط، لمعرفته ان تطبيقها سيحرمه من دور بيضة القبان في اللعبة اللبنانية، فإن ذلك يعتبر إيجابية كبيرة للنسبية، فالإطاحة بهذا الدور لجنبلاط النطناط بين اليمين واليسار مقدمة لا بأس بها للإطاحة بعتاة هذا النظام الطائفي الفاسد.

وتحت غبار التصاريح والتصاريح المضادة عن قانون الانتخابات تمرر سلطة الفساد أمرين أساسيين هذه الأيام، مشروع موازنة تزيد العبء الضريبي على ذوي الدخل المحدود وإسقاط سلسلة الرتب والرواتب، اما كلياً من مشروع الموازنة العامة واما بمسخها وجعلها غير ذات قيمة. وفي هذين الأمرين لا بدّ من التمسك بقانون انتخابي نسبي على اساس لبنان دائرة انتخابية واحدة خارج القيد الطائفي، لأن ذلك وحده يريح البلاد من هذه الطبقة السياسية الفاسدة، وغيره لا شيء سوى تجميل كل ما هو بشع.

مسابقة للرقص الشرقي في أميركا... يا حرام على العرب

باتت الكتابة عن المنطقة العربية أشبه بكتابة سيناريو لفيلم رعب يتخلله مشاهد مخيفة للدماء والقتل والذبح بشتى الأشكال، والفارق بين الواقع العربي وأي فيلم رعب هو أنه في الأخير هناك نهاية للفيلم أما في الواقع العربي لا يبدو هناك من نهاية في المدى المنظور.

مفاوضات التسوية السورية بين الحكومة وقوى المعارضة تتقدم وتتراجع وفق حسابات الرئيس التركي رجب طيب أردوغان وارتباطها بقفزه بين أحضان واشنطن وموسكو وما بينهما من عرب وعجم. مفاوضات التسوية في اليمن خرجت من العناية الفائقة الى الموت السريري بعد وصول دونالد ترامب إلى البيت الابيض ومراهنة حكام الرياض عليه. معركة الموصل في العراق لا تزال تحتاج بضعة أشهر لتنتهي ولكن من دون أفق لتسوية بين افرقاء الحكم في العراق. وفي مصر لا مفاوضات ولا اتصالات تنهي حرب الاستنزاف التي يخوضها الجيش المصري ضد الجماعات الإرهابية المدعومة من قطر. وفلسطين بعد ترامب باتت على شفير الخطوة الأخيرة لتهويد القدس بنقل السفارة الأميركية إليها.

وأطرف ما يزيد في قتامة هذا الواقع العربي هو ما تداولته وسائل الإعلام العالمية عن تنظيم مسابقة "أفضل راقصة شرقية في الكون" وفي ولاية كاليفورنيا الأميركية على مدى يومين... الرحمة لتحية كاريوكا ونجوى فؤاد... حتى الرقص الشرقي صار في أميركا... يا حرام على العرب، أي زمن هذا؟؟؟

ترامب يواجه حرباً ضروس من المخابرات والإعلام.. فهل يطاح به؟

باتت القرارات التي يتخذها الرئيس الأميركي دونالد ترامب تشكل مادة دسمة للإعلام المحلي والعالمي كما أنها وللمرة الأولى في التاريخ الحديث لأميركا باتت تثير أكبر موجة احتجاج شعبي ضد الرئيس ليس فقط في أميركا بل في العالم أيضاً. وفي الوقت الذي يشيع ترامب بأنه باق في البيت الأبيض لثماني سنوات هناك كلام جدي في واشنطن عن الإطاحة به قبل انتهاء ولايته.

فقد خصصت مجلة "نيوزويك" موضوع غلافها في الأسبوع الماضي للرئيس ترامب واتهمته ليس فقط بأنه كاذب بل ايضاً بأنه غير موزون عقلياً وبات لزاماً على الكونجرس أن يبادر الى التصويت على ضرورة عرضه على لجان طبية مختصة لدراسة مدى صحته العقلية كمقدمة للإطاحة به. وإلى جانب المعركة مع الإعلام يواجه ترامب معركة أخرى مع الأجهزة الأمنية الأميركية وعلى رأسها وكالة الاستخبارات المركزية (سي اي ايه) التي خلقت فوضى عارمة في فريقه بعد ان سربت محادثة بين مستشاره للأمن القومي الجنرال مايكل فلين ومسؤولين روس بشأن العقوبات على روسيا، وأدى ذلك الى الإطاحة به.

قد يشمت الشامتون بوضع الفوضى الذي يعم الإدارة الأميركية، ولكن يفوت هؤلاء انه ان كان فعلا الرئيس ترامب مجنون او متسرع فمن شأن أي قرار يتخذه أن يترك خلفه كوارث عالمية إن كان سياسياً أم اقتصادياً أم عسكرياً. لذلك ليس لدى شعوب الأرض في هكذا حالة إلاّ الدعاء أن تمر الأمور في أميركا في السنوات الأربعة المقبلة على سلام وإلاّ على العالم السلام.

لتعليقاتكم على البريد الالكتروني: maherabinader@gmail.com

موازنة ضريبية في مجلس الوزراء:

إجراءات ضرورية تستهدف القطاعات الريعية.. وأخرى تصيب المواطن!

نضال الأسمر

منذ انتخاب رئيس الجمهورية العماد ميشال عون نهاية السنة الماضية، ازداد الحديث عن قرب تفعيل العمل الحكومي والتشريعي، ليحتلّ موضوع موازنة العام 2017 العنوان الاقتصادي الأبرز في شهر شباط. وفي حين تنعقد الجلسات الحكومية دوريا لمناقشة الموازنة التي قدّمها الوزير علي حسن خليل، والمؤلفة من أكثر من 1200 صفحة، يتبيّن يوما تلو الآخر الى أي مدى يبلغ استعداد البعض للتصدّي للإجراءات الضريبية الموجودة في الموازنة، ولمنع إقرار سلسلة الرتب والرواتب العالق إقرارها منذ ما يزيد عن أربع سنوات.

وفيما يصرّ البعض على إقرار سلسلة الرتب والرواتب مع الموازنة، يحاول البعض الآخر فكّ الارتباط بينهما، في محاولة للتخلّص من السلسة التي أعلن رئيس الحكومة سعد الحريري، بحسب مصادر مطّلعة على جلسات مجلس الوزراء، موقفه السلبي منها رافضاً إدراجها ضمن مشروع موازنة 2017، واعتبر أنها تضرّ بالاقتصاد، طارحاً أن يكون النقاش بشأنها مستقلاً عن مشروع الموازنة. أما الوزير جبران باسيل، فقد أوضح أن هناك مظلومية تقع على الملاك الإداري في الإدارات العامة وبالتالي يجب تصحيح الأمر، إلا أنه أشار إلى أنه ليس للأساتذة والعسكريين حق في السلسلة، على خلاف موقف «عمّه» رئيس الجمهورية المنادي بضرورة إقرار الموازنة والسلّة!!

غير أنّ النقاش الأهمّ في موضوع الموازنة، يعود دوماً الى خانة الإجراءات الضريبية، فلا شك أن موازنة العام 2017 هي موازنة "ضريبية"، ولاسيما عندما تتضمن 27 اجراءً يتنوّع بين فرض رسوم وضرائب جديدة ورفع رسوم وضرائب موجودة حالياً، حتى أن الإيرادات الضريبية باتت تشكّل نحو 80% من مجمل الإيرادات العامة، والباقي أي نحو 20% فقط تعود إلى إيرادات غير ضريبية.

هذه «الإصلاحات» باتت تصيب للمرّة الأولى ربّما بعض القطاعات الريعية التي جنت طوال السنين الماضية أرباحاً خيالية، دون حسيب ولا رقيب. أبرز هذه الإجراءات زيادة معدل الضريبة على فوائد الودائع من 5 إلى 7 في المئة، إضافة إلى زيادة الضريبة على ربح الشركات من 15 إلى 17 في المئة، وإدراج ضريبة على الربح العقاري بمعدل 15 في المئة.

ولعلّ الهجمة الشرسة التي طاولت الموازنة من قبل الهيئات الاقتصادية و«ممثلي المصارف والعقارت» في الحكومة خير دليل على «العنجهية» التي اعتاد هؤلاء إظهارها، فوصلت الوقاحة ببعضهم الى المطالبة بمساواة المصارف ضريبياً بالطبقات المعدومة، مهدّدين بانهيار اقتصادي وبـ «اختلال الاستقرار النقدي!!» في حال إجبارهم على دفع مبلغ بسيط من الأرباح الهائلة التي يجنونها على حساب الخزينة العامة.

إلى ذلك، من الضروري التذكير أنّ هذه الضرائب التي تطال بعض أصحاب الثروات ليست كلّ ما انطوت عليه الموازنة، فهي كذلك ضمّت سلة ضرائب تصيب أيضا الطبقات المتوسطة والفقيرة من خلال فرض رسوم سير إضافية، رفع رسم الطابع المالي على السجل العدلي من 2000 ليرة إلى 4000 ليرة، رفع رسم الطابع المالي على الفواتير والايصالات التجارية، رفع رسم الطابع المالي على فواتير الهاتف، مضاعفة الرسوم التي يستوفيها كاتب بالعدل لمصلحة الخزينة، رفع الرسوم على استهلاك المشروبات الروحية المستوردة، فرض رسوم خروج على المسافرين بطريق البر والجو، فرض رسم مقطوع على السلع المستوردة من الخارج ضمن مستوعبات، فرض رسم على عقود البيع العقارية بنسبة 2%، فرض نسبة 1.5% من القيمة التخمينية في ما يتعلق برخص بناء أو اعادة بناء أو إضافة بناء في جميع المناطق.

أمّا الأرقام الأخرى التي تضمّنتها الموازنة فأشارت الى ضعف النمو الاقتصادي اذ يقدّر بـ 2.6% بينما يحتاج الاقتصاد الى نمو يفوق 5% للحفاظ على الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي. أمّا في ما خصّ العجز في المالية العامة، فهو يتخذ منحى تصاعدياً اذ يقدّر بـ 7843 مليار ليرة ونسبته 9.54% من الناتج المحلي، ما يؤثر سلباً على التصنيف الائتماني للدولة وإرتفاع معدلات الفوائد لاحقاً. كذلك الأمر في ما يتعلّق بالمديونية العامة التي تتخذ منحى تصاعدياً اذ تقدّر في نهاية سنة 2017 بحوالى 81 مليار دولار مشكّلة نسبة 148.6% من الناتج المحلي مقابل 75.5 مليار دولار ونسبته 143.8% من الناتج المحلي.

الى ذلك، تشير مصادر مطّلعة إلى أنّ الحكومة ستحاول حلّ مشكلة قطع الحساب عبر التقدّم بمشروع قانون تعديل إستثنائي للمادة 87 من الدستور و197 من قانون المحاسبة العمومية يجيز لمجلس النواب إستثنائياً إقرار مشروع موازنة 2017 من دون ان يكون مرفقاً بمشروع قطع الحساب لعام 2015 على ان تلتزم الحكومة عرض الحسابات المالية النهائية لهذه السنة في غضون فترة زمنية محددة (3 سنوات).

الهوية بين حدين: القتل والتجاوز

الفضل شلق

الهوية هي أن نكون ما نحن عليه. وهذا نقرره نحن (نقرر مصيرنا) أو نكون ما يراد لنا أن نكون فيصنع الغير لنا مصيرنا. الهوية اما معطى يقرره الغير أو التاريخ أو التراث، أو إرادة المصير الذي نصنعه نحن. نفقد حريتنا عندما يصنع الغير هويتنا أو حتى عندما نستمدها من التاريخ والتراث. نكتسب حريتنا عندما ننتج هويتنا. نصنعها بإنتاجنا لها. الفرق كبير بين هوية نصنعها وأخرى تُصنع لنا.

الهوية المعطاة سواء من التاريخ أو التراث أو من صنع الغير لنا، تقيدنا وتكبلنا وتجعلنا عبيداً مستتبعين لغير ذاتنا. الهوية التي نصنعها نحن نتجاوز بها التاريخ والتراث وتستجيب هي لحاجاتنا التي نقررها نحن ولا يقررها الغير لنا. في هذه الهوية تتدخل السياسة والقدرة على الإنتاج والتنمية وقضايا المجتمع والدولة. لا نستطيع أن نصنع هويتنا الجماعية إلاّ بالحوار والنقاش وتبادل الأفكار مع الغير، ولا نستطيع تحقيقها إلاّ بالتسويات وتراكم التسويات وغير ذلك لما يدخل في باب السياسة.

يتطلب ذلك (أي صنع الهوية) فتح العقل على مصراعيه، ترك الوعي يتطور ليصير أكثر شمولية للقيام بخيارات أنسب. يضطر أهل السياسة للعمل في مجتمع مفتوح ودون أبواب مغلقة في وجه النقاش والحوار والتسوية، قاعدته قبول اختلاف الآراء، والتمرد على التاريخ والقطيعة مع التراث الذي لن نفهمه إلّا إذا وقفنا خارجه ومارسنا النقد والتقييم حياله. بالطبع نحن لم نولد خارج التراث، وليست ذاكرتنا دون تاريخ، وكل بناء فكري لا يستطيع التخلص مما هو موروث، لكن التجاوز يقضي بإستعمال عناصر التاريخ والتراث في بناء جديد، بناء لوعي منخرط في العالم، يتبنى ثقافة الغرب دون انتقائية. ذلك يتطلب الإعتراف بعالمية الثقافة الغربية لا لأسباب تقنية فحسب بل لأسباب معرفية استمولوجية أيضاً. تفوق الغرب التكنولوجي جاء نتيجة التفوق العلمي. والتفوق العلمي جاء نتيجة أولوية الإستقراء على الاستنباط في المنطق، وجاء نتيجة أولوية البحث في الطبيعة وملاحظتها على الإكتفاء بعلوم دينية جوهرها البحث في معاني كلام الوحي وما أراده الله. العلوم الدينية الاستنباطية لا تقدم جديداً. هي فقط تستخرج استنتاجات لها مبادئ أولى، تستخرج معرفة مجهولة من معرفة معلومة. لا تنتج فكراً أو وعياً جديداً، تنتج وعياً يدور حول نفسه. لا يستطيع أصحاب هذا الوعي الدفاع عنه إلا بالعصبية وإدعاء امتلاك الحقيقة الأزلية. بالإستقراء من ملاحظة الطبيعة نكتشف مبادئ جديدة ونبني عليها، نحقق التجاوز، عندها نستحق مكاننا في العالم، ننخرط في العالم.

المنطق الاستقرائي يدفعنا إلى ملاحظة الطبيعة واستخراج مبادئ جديدة منها، يسمونها العلوم الوضعية. يتوسع أفق الفكر والوعي عندما يتجاوز نفسه ويكتشف مبادئ جديدة. يكون قادراً على استخدام هذه المبادئ من أجل التقدم والإنتاج والتحديث. العلوم الدينية الاستنباطية تكبلنا في مبادئ أولية، في اعتبارات نراها مطلقة وثابتة عبر العصور. مبادئ تكتسب هيمنتها من قدسيتها، وذلك بانتسابها الى عالم السماء لا عالم الأرض والطبيعة. هي والعبودية صنوان. الحقيقة المطلقة الموحى بها لا بدّ أن نكون عبيدا لها ولمن أصدرها، وإلاّ فهي تفقد طابعها. الهوية المعطاة، الهوية التي تصنع لنا، تضعنا في قفص العبودية. تحيل الإجتهاد إلى تكرار واجترار. تكرار المعروف واجترار ما جرى تكراره. الحوار المتعلق بها هو نوع من الخطابة الفارغة، حيث يتم التحذلق والتفلسف والتعقيد في استخدام اللغة. تتجدد اللغة بإكتشاف مبادئ جديدة. نضطر إلى إضفاء اسماء جديدة وأفعال جديدة، نضطر إلى الإبتكار في اللغة بما يتطابق مع الإبتكار في التفكير. الإبتكار في التفكير وفي الوعي يطرح علينا الحاجة إلى مفردات جديدة لا نضطر إلى الإبتكار، والى الشرح على الشرح، وإلى التهذيب على التهذيب، لما هو معطى في كتب التراث.

مع الإستقراء والاستنتاج والتفكير وتطوير الوعي لا نكون سلفيين، لا نضطر إلى تقليد السلف الصالح وإراحة عقلنا من مهمة معرفة ما كانوا ينوونه عندما قالوا كذا وكذا. نتحرر من أنفسنا، نتجاوز أنفسنا. حقيقة الأمر اننا نتجاوز هويتنا المعطاة، أو المفروضة علينا، أو المصنوعة لنا، أو المفترضة اننا عليها قائمون.

بالتجاوز تضطر آلة العقل للعمل حسب قواعد مختلفة عما ورثناه وعما فينا، يتوسع أفق الوعي، يدخل في عقلنا منطق جديد شجاع لا يهاب الخروج على المألوف والموروث، ليس في الأمر عداء للموروث، بقدر ما فيه تطلع نحو التجديد والتغيير والعمل لتلبية حاجات ولدت مع العصر وصار من غير الممكن معالجتها بالطرق والأساليب القديمة. نستخدم التكنولوجيا، نستهلكها، بعقل قديم. نحتاج الى عقل جديد وممارسة

الطائفة تستوعب الفرد، تحوله إلى وعيه، تنزع عنه صفة المواطنية أي الشراكة السياسية

خارج الدين كي نستطيع فهم التكنولوجيا الجديدة وإنتاجها كي لا نبقى مجرد مستهلكين لها، مستوردين آلاتها وبرامجها. لا نستطيع فهم التكنولوجيا إلا بعلم جديد وضعي مختلف عن العلوم الدينية.

الانخراط في العالم يعني تبني الثقافة الغربية، ثقافة العالم، من أجل فهم العالم والفعل فيه. لا نحقق استقلالنا إلاّ مع تزايد قدرتنا على التفكير والفعل. التفكير من أجل الاكتشاف، والفعل من أجل تحقيق الإرادة وتقرير المصير.

التجاوز والانخراط في العالم لا يعنيان التخلي عن ذاتنا، بل التخلي عن الذات الموروثة والمقررة سلفاً، من أجل ذات جديدة تكون عنواناً على التحرر. من أجل ذلك ليس المطلوب تسوية مع الذات، تسوية تتطلب الانضواء تحت مقولاته والانطواء في قوالبه. نحتاج أن نضع أنفسنا خارج أنفسنا كي ندرك أنفسنا. يستحيل هذا الإدراك من الداخل. القطيعة مع التراث معناها الوقوف خارجه ونقد أفكاره. لا يمكن إنكار ما وُجِد عبر التاريخ، وصولاً إلينا. يمكن التجاوز بالإنخراط في العالم وتبني ثقافة ووعي أكثر فاعلية. نحتاج إلى استيعاب العالم في أنفسنا، وذلك لا يكون بالمواجهة الثقافية. إذا أردنا رفض مقولة صراع الحضارات، وهذا هو الشائع عندنا، فمعنى ذلك أننا ننوي استيعاب الحضارات الأخرى، ليس الأمر الإعتراف بالآخر، بل استيعابه في ذاتنا.

الهوية وصف، بالأحرى تعريف، للأنا الفردية أو الجمعية. أن يكون الشيء أو الشخص هو، أي أن يؤكد ذاته. مشكلة سياسات الهوية، بالأحرى سلوكيات الهوية حين يصير التأكيد على الذات أولوية على كل شيء آخر. تنفرد الذات بنفسها، تلغي النظر الى الآخر، تنفي اعتبار الآخر، تعزل نفسها عما هو موضوعي، يتضاءل الموضوع بالنسبة للذات. تفقد هذه اعتبارها لما هو في خارجها. الذات، الأنا، والجماعة الخاصة بنا تُعدم الآخرين، ذهنياً أولاً، وربما مادياً ثانياً. لا بدّ لكل شيء أو إنسان من هوية. هوية الإنسان أن يشبه ذاته، لا أن يعدم الآخرين. لا ضير أن اكون أنا كما أنا، بالأحرى لا يمكن أن يكون الأمر إلا كذلك. المشكلة

هي فقدان الأنا لذاتها عندما تنضوي تحت مظلة التراث أو الغير. الهويات القاتلة هي التي تتمحور حول ذاتها، ولا تعطي اعتباراً إلا لذلك. لا بدّ من هوية، لكن أن تتحول الهوية إلى ايدولوجيا الوجود هو ما يجعلها قاتلة.

الهوية أن يطابق الشيء نفسه، أن يكون مطابقاً لنفسه. هذا في المنطق والرياضيات، وفي الأخلاق يقال ان تأسيسها قائم على كون المرء صادقاً مع نفسه، مطابقاً لها، غير منافق في ادعاء شيء خفي وزعم شيء آخر في الظاهر. لا يحدث ذلك إلا في الدولة، عندما يعلو الانتماء لها على كل انتماء آخر.

كل منا متعدد الهويات، مع كل انتماء هوية. يمكن أن يكون المرء عربياً ولبنانياً، ومنتمياً إلى قريته، ويمكن أن يكتسب هوية المهنة والنقابة التي ينتمي إليها أو الحي الذي يعيش فيه. ينتظم المجتمع عندما تتقدم هوية الدولة على كل الهويات الأخرى. عندما يتجاوز المرء كل الهويات والانتماءات الأخرى ويعطي أولوية مطلقة للهوية التي تمنحه إياها الدولة فإنه يمنحها الشرعية بالمقابل، ويصير مواطناً، يمنحها مواطنيته، يستوعب الدولة، تصير الدولة جزءاً منه ومن ضميره ووعيه. الطائفة تستوعب الفرد، تحوله إلى وعيه، تنزع عنه صفة المواطنية أي الشراكة السياسية. لا يستوعب الطائفة إلاّ الزعيم أو طبقة زعماء. في المواطنة، حيث أولوية الإنتماء للدولة، وحيث يتماهى الفرد مع الدولة، يصير الفرد جزءاً من الدولة والدولة جزءاً من الفرد. يتطابق الضمير الفردي مع الدولة والمجتمع، ويصير للوطنية معنى، وتصير الوطنية ملازمة للدولة وصفة لها. يفقد الفرد وطنيته بالطائفة والطائفية.

الدولة الحقيقية، في هذا العصر، هي دولة المواطنية والسياسة، دولة المواطن المشارك في مصير مجتمعه...

الدولة الحقيقية، في هذا العصر، هي دولة المواطنية والسياسة، دولة المواطن المشارك في مصير مجتمعه، المواطن الذي يصنع دولته ومصيره. لا يحدث ذلك إلاّ بالتجاوز لما كنا عليه، والانخراط في العالم، في ثقافة العالم، لنصنع مصيراً يكون هوية جديدة لنا. ليست كل هوية قاتلة. الهوية التي تصنع لنا هي القاتلة، وما يصنع لنا هو إما الغير أو الوعي المتخلف الذي يعيش في الماضي ويرفض المعاصرة.

***ينشر بالتزامن مع «روسيا الآن».**

النظام السياسي الطائفي يدخل في أزمته الشاملة

محمد المولى

إستناداً إلى الشكل الطائفي لنظام سيطرتها، ووفقاً لمقولاتها الإيديولوجية، تبدو قوى «التركيبة» السلطوية الحاكمة، كأنها الممثلة لمصالح «الطوائف» في لعبة التنازع على «الحقوق». لكنها، وهي تنافح عن «تمثيلها» الطائفي، وتستمد منه ما يبرّر سلطتها، تُثقل طروحاتها بالكثير من "اللغو" حول بعدها الوطني و«الميثاقي». وغالباً ما تبدي رغباتها "السامية"، إنما المؤجّلة إلى زمن لاحق، لم تتكوّن شروط تحقّقه، بالوصول إلى صيغة وطنية..

لكن هذه القوى تحصر النقاش في دوائرها الضيّقة، وتبقي «جمهورها»، الذي تدّعي النطق بإسمه، بعيداً عن المشاركة في تقرير شؤونه، إنما تضعه في حالة من الجهوزية التامة لإستخدامه، إذا إستدعت «الضرورة»، في "الحشد". وتتكفّل شبكاتها الدعائية في إستثارته، بناء على شعارات ومقولات تبسيطية، تتراوح بين إبراز المخاطر والتهديدات «المصيرية»، والتخويف من "الآخرين"، وبين إستحضار «المظلومية» و«التاريخ» وما إلى ذلك.

في حين أن منظومة العلاقات «الزبائنية» تربط عملية تقديم الخدمات العامة، وتوزيع المنافع المادية، والرشوات المختلفة، وفرص العمل والتعيينات، بالولاء والخضوع والمحسوبية والتأييد السياسي، من خلال شبكة واسعة من الفساد والإفساد، وآليات متّبعة في التحاصص «الطائفي»، تبقي الأتباع في حالة من العجز النسبي عن الإنفكاك عن «الزعامات» الطائفية. وفي نفس السياق يتم حجب الخدمات عن المعترضين، أو التضييق عليهم.

هذه المنظومة حوّلت الخدمة العامة من حقّ للمواطن إلى مكرمة من هذا الزعيم أو ذاك. صارت التعيينات الإدارية والقضائية والتربوية وغيرها موضع تحاصص، وعمد المنتفعون إلى رفع اليافطات على مداخل القرى والمدن التي تشكر هذا الوزير على «تزفيت» طريق، وذاك الزعيم على إختياره إبن بلدة أو عائلة ما «لمنصب» إداري أو أمني..

روّجت مفاهيم «الواسطة» و«الشطارة» وتحايل «المدعومين» على القانون، وتبعاً لهذه المفاهيم، المدعّمة بالشواهد و«الأمثلة» الصارخة، فإن قسماً من المستتبَعين، رغم تعبيره عن عدم رضاه عن مجمل هذه التركيبة، كان ينتظم في سياقها، في إزدواجية بين القول والممارسة، مبرّراً هذا الإنتظام بالحاجات الحياتية، أو في تماه مع مقولاتها وإدعاءاتها.

لم يكن الفساد إلاّ فساداً سياسياً، ناجماً عن آليات عمل هذا الشكل من النظام الطائفي التحاصصي، الذي يعيق المحاسبة والمساءلة، وليس فساداً إدارياً بحتاً أو خللاً "عارضاً"، يمكن معالجته وإقتلاعه جذرياً بتدابير معينة، مع الإبقاء على الشروط السياسية والإقتصادية المولّدة له.

من جهة أخرى، تدعّم الشكل الطائفي للنظام السياسي بالصراعات الممتدة في المحيط التي شابها المزيد من التأزم الطائفي والديني. كما تدعّم داخليا بشبكة «أخطبوطية» من المؤسسات الطائفية، بدءاً من المدارس والمعاهد، وأنظمة الرعاية الصحية والإجتماعية، ومروراً بالجمعيات والتجمعات المهنية الفئوية، ووصولاً إلى بعض الإعلام، والمراكز الدينية المنتشرة في كل مكان، والمزوّدة بجيش واسع من الوعّاظ والدعاة والخطباء في كل المناسبات، والمتدخلين في كل مفاصل الحياة (الزواج والإرث وغيرهما)، إستناداً إلى القوانين الطائفية للأحوال الشخصية.

وفي هذا المجال، كان يتم الإستيلاء على المجال العام في القرى والأحياء والساحات والطرقات، من خلال الأعلام والشعارات والمجسمات، ومن خلال محاولات فرض أنماط سلوك وأساليب حياة غير متوافقة مع الحريات العامة والشخصية.

هذا الشكل السياسي الطائفي الذي هو الشكل السياسي للسيطرة الرأسمالية في ظروف لبنان التاريخية، هو أيضاً الشكل الذي «تختفي» فيه علاقة السيطرة، حيث أن الطبقات المستغَلّة لا "تعي" موقعها الطبقي، بل تنظر إلى نفسها كطوائف متنازعة او «متعايشة». في حين أن السلطة السياسية تمثل فعلياً مصالح الرأسمال المصرفي والريعي والعقاري الذي، وللمفارقة الشكلية، يحاول أن «يتبرّأ» من فسادها «الإداري»، في دعوته إلى الخلاص من القطاع العام، وإعتماد الخصخصة الكلية.

أما القوى المتنفذة في السلطة فإنها تستخدم النفوذ للإستيلاء "الغنائمي" على مؤسسات الدولة، و«المجالس» المستحدثة، وعلى جزء من المال العام، والشواطيء والجبال والمشاعات، وبعض قطاعات الإستيراد، والخدمات، وتلزيم المشاريع ... إضافة إلى أن العلاقة بين الرأسمال الريعي وبين «السلطة السياسية» إتجهت، منذ بداية التسعينيات، أكثر فأكثر نحو التداخل، والترابط، والتكامل والتشارك..

هذا النظام السياسي الطائفي الذي شهد أزمات تاريخية متتالية ومحاولات «تجديد» و«إعادة إنتاج»، بتدخلات خارجية وتسويات و«إصلاحات»، كان آخرها «إتفاق الطائف»، الذي إنتهت مفاعيل «حضانته» الإقليمية، ومؤتمر الدوحة الذي حاول «إنعاش» التسوية من خلال إعتماد ما أُطلق عليه «الديمقراطية التوافقية»، دخل في أزمة عميقة وشاملة ناجمة عن مجموعة من التناقضات، وأصبح عاجزا، بآليات إشتغاله، عن إيجاد حلّ لأبسط المسائل السياسية والإجتماعية والإقتصادية والحياتية والخدماتية والبيئية، بعد أن تدهور مستوى حياة الغالبية العظمى من اللبنانيين إلى مستوى غير مسبوق. قد تطول الأزمة، وتحمل معها المزيد من التدهور، والكثير من المخاطر. إنما لن تنفع كل محاولة لإعادة إنتاجه، ولن تفعل سوى زيادة مستوى التأزم، على كل الصعد.. والتغيير لم يعد ترفاً، بل أصبح ضرورة، بإتجاه بناء الدولة الديمقراطية العلمانية المقاومة، دولة الرعاية الإجتماعية.

وداعاً أيها الناسك الشيوعي

ماهر أبي نادر

فجأة ومن دون سابق إنذار تسلل الرفيق خالد سليمان مغادراً عالمنا تماماً كما عاش فيه، بصمت وهدوء وبعيداً عن الاجتماعيات والشؤون اليومية. ولأنه عاش هكذا فمن الصعب على أحد أن يكتب عنه حتى ممن عايشوه عن كثب، أقرب الناس إليه، أخوته وأقاربه مثلاً، لم يعرفوا تاريخه النضالي، أولاده يعرفون النذر القليل عنه ودهشوا عندما سمعوا نعي المكتب السياسي للحزب الشيوعي له. فمن هو هذا المناضل الصامت؟ للاجابة عن هذا السؤال كان لا بد من رحلة بحث بين العديد من الرفاق لتجميع بعض الفتات من المعلومات عنه.

ولد خالد سليمان في بلدة بدنايل في البقاع الاوسط في كانون الاول عام 1948 ولكنه عاش طفولته في بلدة رياق التي كان يعمل والده في مطارها العسكري مهندساً لميكانيك الطيران في الجيش اللبناني. وفي اواخر الستينيات من القرن الماضي انتقلت العائلة الى بيروت لتعيش في حي السبيل في طريق الجديدة وليتابع خالد دراسته الى جانب اخويه عاصم وفادي في ثانوية البر والاحسان الرسمية ولينتقل بعدها الى كلية العلوم في الجامعة اللبنانية لدراسة مادة الرياضيات وليتخرج منها بتفوق باجازة تعليمية قبيل بدء الحرب الاهلية وليبدأ بتدريس هذه المادة في احدى الثانويات الرسمية.

تعرف خالد على الحزب الشيوعي وانتسب إلى صفوفه عندما كان طالباً في كلية العلوم في الجامعة اللبنانية، ومع بداية الحرب الأهلية كان خالد في طليعة الرفاق الذين حملوا السلاح في المحاور العسكرية في بيروت دفاعا عن وحدة لبنان وعروبته وتطوره الديمقراطي وعن الثورة الفلسطينية. وفي بداية العام 1976 أرسل خالد مع رفاق آخرين في بعثة عسكرية الى احدى الاكاديميات العسكرية السوفياتية حيث خضع لدورة عسكرية عليا، يقول أحد الرفاق الذين رافقوه في الدورة العسكرية انه كان خلالها لامعا ودقيقا ولديه مهنية عالية في الرماية المدفعية التي أبدع فيها إلى درجة ادهشت مدربيه السوفيات، ليعود بعدها الى لبنان ويتولى تدريب هذا الاختصاص للكوادر العسكرية في الحزب الشيوعي، وساهم لاحقاً الى جانب رفاق اخرين في إنتاج كتاب عن الرماية المدفعية.

تولى الرفيق خالد بعد ذلك مسؤولية الإدارة العسكرية والمالية المركزية للحزب وأصبح أيضاً عضواً في اللجنة المركزية بامتياز حضور اجتماعات المكتب السياسية المخصصة لمناقشة موازنة الحزب وشؤونه المالية والإدارية والتنظيمية. ومع هذه المسؤولية كان خالد بحسب أحد رفاقه يوصل ليله بنهاره وبصمت لا يشبهه صمت وعصامية عالية وصدق واخلاص ووفاء لحزبه لا يضاهيه أحد فيه.

يقول أحد الذين عملوا معه لبضعة سنوات أنه بالإمكان اختصار الرفيق خالد بلقب واحد، أبو الهول، فهو قليل الكلام وان تكلم فأنه يفعل ذلك بأقل قدر من الكلمات ولكنه في الوقت نفسه آلة مدهشة في العمل، فعلى مدى سنوات عمله في الادارة المركزية والعسكرية للحزب الشيوعي لم يكن يترك قرشاً يضيع أو يهدر، فهو بحسب أحد رفاقه «يحلب النملة» من اجل تعزيز مالية الحزب وحماية ممتلكاته، ويلاحق ادق التفاصيل بتأني ويقول رفيق آخر «خالد!!! حلال المشاكل»، لا تعصى عليه مشكلة من دون أن يجد لها حلاً.

وعلى الرغم من القرابة التي تجمعنا فأني اول ما تعرفت عليه كان في صيف العام 1976 في احدى المدارس العسكرية للحزب في بلدة المشرف الشوفية وكان مدرباً عسكرياً متخصصاً في المتفجرات والمدفعية الصاروخية، لم يشعر تلامذته بالفارق بينهم وبينه سوى الفارق المعرفي المذهل الذي يتمتع به أما في باقي جوانب الحياة والعمل العسكري فكان مثله مثل اي رفيق في المأكل والملبس والمنامة من دون أي امتياز.

في العام 1981 كانت قيادة الحزب الشيوعي تتوقع عدواناً عسكرياً إسرائيلياً على لبنان فاتخذت قراراً بانشاء جهاز حزبي سري يتولى العمل العسكري ضد قوات الاحتلال إذا ما حصل العدوان، وكلف الرفيق خالد بإعداد الأمور الإدارية والمالية واللوجستية لهذا الجهاز. وصدقت توقعات الحزب ووقع العدوان الإسرائيلي في حزيران من العام 1982 وكان خالد على رأس الإدارة العسكرية والمالية المركزية للحزب خلال العدوان وقاد عمله في بيروت المحاصرة ليسطر إلى جانب رفاقه في الحزب الشيوعي وأحزاب الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية والجيش العربي السوري واحدة من ملاحم الصمود في وجه آلة الحرب الإسرائيلية. رأيته مرات عدة خلال حصار بيروت، لم تكن الابتسامة تفارق محياه، ولم يكن التفاؤل يفارقه أبداً وكان واثقا بأن

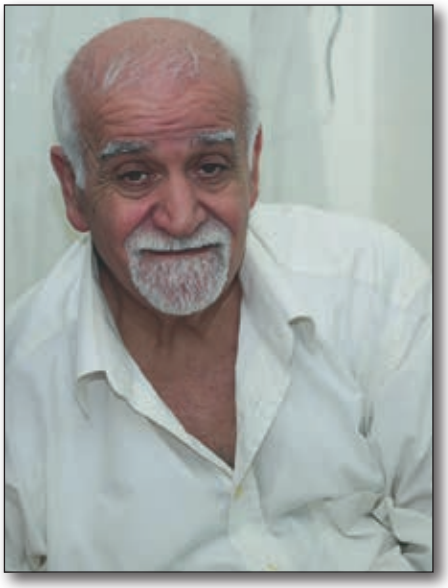

الصمود سيفوت على إسرائيل تحقيق كامل أهدافها. ومع احتلال بيروت بدأ عمل الجهاز الذي أنشأه الحزب قبل عام من الغزو تحت اسم جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية وكانت كل مقومات العمل العسكري السري جاهزة بهندسة عالية من الرفيق خالد، ولم يكتف بذلك بل أيضاً ساهم في العديد من عمليات الاستطلاع التي مهدت لعمليات عسكرية بطولية ضد قوات الاحتلال في بيروت. وقد رأى خالد في المقاومة ضد الاحتلال حينها ضوءاً كبيراً ليس فقط للبنان بل ايضا لحركة المقاومة في فلسطين وكان يقول لنا أن مقاومتنا هنا سيكون لها تأثيرها في فلسطين وفي دول عربية اخرى.

بعدها انكفأ الرفيق خالد وعاد إلى عمله مربياً ومدرساً لمادة الرياضيات في ثانوية حارة حريك الرسمية وغيرها من المدارس الرسمية وأنشأ دكاناً صغيراً للسمانة في منطقة ساقية الجنزير في بيروت ليربي ولديه. وبقي منذ ذلك الحين صامتاً يحمل في طيات قلبه تاريخاً نضالياً مشرقاً إلى أن وافته المنية في 13 شباط الجاري جراء مضاعفات مرضي السكري والضغط اللذين كان يعاني منهما.

وداعاً يا رفيق خالد، ولك كل التحية من رفاقك وكل من عرفك أيها المناضل الصامت إلى حد النسك.

رحيل الرفيق نجيب الرشماني

غيّب الموت الرفيق نجيب أمين الرشماني ــ مدينة عاليه ــ وهو من رعيل الشيوعيين القدامى. وقد أمضى معظم سنين عمره، في صفوف حزبه، مساهماً في الكثير من نشاطاته، وخصوصاً في الظروف الصعبة التي مرّت بها منطقة الجبل الجنوبي.

وقد جرى تشييعه بعد ظهر السبت المنصرم، في مأتم حاشد. وقد شارك في تقديم التعازي العديد من الشيوعيين وفي مقدمتهم امين عام الحزب الرفيق حنا غريب.

أسرة «النداء» تتقدم من عائلة الفقيد ورفاقه بتعازيها القلبية الحارة.

قم يا حسين العلم

(قصيدة كتبها المناضل التونسي الشهيد شكري بلعيد في رثاء المفكّر الشهيد حسين مروة)

سقطتْ في المدى طيرُك المتعَـبَـة
لم تكن دمعتَـاك لتروي الترابَ الحزينْ
إنما الحبر بين يديكْ، يطاول آلهة الكافرين
بخير البلادْ
وبغداد نائمةٌ، تحكم الأرضَ والأرصفة
كنتَ فارسَها.. كاشفَ السّر.. ملحمة الدّم
مزّقتَ بكارةَ حاكمِها
وللفقراء السّراطْ
قم يا حسين العَـلَـم
عربُ العربِ العاربة
جمّعتْ حقدها وأباحت دمكْ
حينما سقط المـُلك/لا مَلك
فالزّنوج أتوا في يدكْ
ملحمة الأرض والرفض والأملحة
أشاعوا المدى والتّرابْ في ليالي العذابْ على
الفئة القاحلة
وامتطوا صهوة الرّفض، في فاصل الأرض ضدّ
اتّساع الخرابْ
قم يا حسين العَـلَمْ
بغداد نائمة على عرشها المستطابْ
وحمدان نادى على فقراء البلاد
أنِ اجتمعوا
هذي خمر الخليفة من تعب الموت بين
يديكم
حلّوا مراكبكم
مدّوا الأيادي التي تعبت من جباة الخليفة
والبرلمانْ
دمي صولجانْ
فاجمعوا دمكم واتبعوني
أنا التراب/ البلد / الأرض والقادمونْ
أنا الفاصل ما بين حبّكمُ والجنونْ
وأنتم بداية حزن المساءْ
حين السّنون تخونْ
قم يا حسين العلَـم
افتح نوافذ تاريخنا المغلقة
وارفع أوراقك والقلمْ
سمِّ البلاد بأسمائها
واحرث المستترْ
لطّخ لحيّ الظلام بآثامهم
وانتصِرْ
للرّعاع الذين بنوا مجدنا
وانقضوا
سيفهم للصراعْ
فسّخْ تفسّخَ كل البلاطات والطبقات
التي اشترت بدمانا الجواري
ومالت على وجهنا الجمجمة
فأقمنا الصباح
على الجسد المقبرة
ونادى المنادي
ها انّ حمدان يأتي على فرس من غضبْ
يلمّ شتات العربْ
وذاكرة المتعبين على الأرصفة
يصرخ في امّة النفط والأقنعة
أنا القرمطيّ، وأنت حسين امتدادي
أنا القرمطيّ وكل البلاد بلادي
أنا القرمطي اشعـْتُ النخيلْ
وخيل الصحاري
ونوّارةً بالجليلْ
وأرض السّوادْ
فدوّن بكرّاسك.. والقلمْ
يا حسين العلمْ
سقط المـُلْك حين العبيد طووا لونهم
ومدّوا السلاحْ
فأجاب العدمْ
قم يا حسين المباحْ
بين القبائل والطبقات الهجينة والميّتة
أنت كاشف عورتهم
وفاضح نزوتهم والدّليلْ
وقابر سيرة أعدائنا المظلمة
قم يا حسين العلمْ
إنّ اللّحيّ التي استوطنت تاريخ كل البلاطات
قد أرسلت تطلبكْ
جسداً أو كفنْ
قم واحتمي بدمي
استظلّ بكفّي
ودمع الملايين
والزفرة العاشقة
قم
أنت جسر الرّؤى بين ملحمتين
من شبق
في الرحلة الخالدة
ونشيد الصباحْ
قم يا حسين المباحْ
لم تمت
حينما أوفدوا طلعة الغدر تسكن جثّتك
السيدة
تسعا وسبعين حولاً
وأنت تجوب البلاد التي خبّؤوها
بين القصورْ
وغانية للخليفة ترتشف نكهة العرق المتصبّب
نحو السّفنْ
لم تمتْ / لا كفنْ
أنت كاتب سيرتنا
من حجر صقل الوجه في رحلة الصيد
حتّى النشيد الأخير لهذا الزّمن
لم تمت
أنت كاتب رحلتنا
مزّقت كل الطوائف
واللحية الخائنة
وانتشرْ في المدى
عـرّ الخرافة
والرّؤية الآسنة
صلّي صلاتك يا ايّها القرمطيُّ
على امّة النفط والأقنعة
قم يا حسين العلم
نحن «المتعبون» رماد البلاد
سنستأذن الروحَ من روحها
ونودّع فيك الجسد
وليكن
للظلام ميقاته
للخليفة بيعاته والجواري الحسان
ولكنّ للضّدّ لون يؤول
سواعد ترفع ميراثها في يديك
واخرى تغطّي الحقول
ويمضي إليك
في نشيد الشمول
وبيروت أم القرى والمدن
شيّعتك شهيدا
ومالت على دمعتيها قليلا
تبكي حسين القتيلا
وتقسم بالدم
فقم يا حسين العلم
حاصر الرّدة الهائجة

انّ القبائل قد جمّعت جبّة النفط في لحية
واتت لتقتّل فينا المدى
تقاتل علم الولادة
وتنسخ حرب الإبادة
حين الطريق افتضحْ
فانكشف العهر والجارية
لم يكن لإله الطوائف
ان يستطيع بقاءك
أو يستطيب لقاءك
يا روندىّ عصر البنوك
والبرلمان
بيروت تبكي شهيد العبيد
ورائحة القرمطي بدمعتك
ملح الزنوج ببسمتك
كوفة الرّفض
صوت عليّ للفقراء
أن اتّحدوا
أنتم حطام المعارك
وتراب الممالك
والحبّة المهملة
إنهضوا
انّ معاويـةَ جمّـع الأهـل والأقربـاء وتجـار
المدينة
والفئة الباغية
فانهضوا
قرمطيّ الزمان أتى
جمرة وشبق
انهضوا يا أخيـّا
هذا حسين
يؤسس كومة من دم
شكّلتها دموعكم/الليالي الطوال/عبيد السباخ
وعمال ميناء بيروت
والمتعبون على طول هذا الوطن
وليكن
جبّة النفط تذوي
وتذبل
ثم تموت على
لحية من عفنْ
أيّها الحاضر الممتهن
كيف تستقبل امّ المدن ابنها
كيف تمضي الليالي بها
من سيمسح دمعتها
ويردّ على الدولة الطائفة
من سيحمي الولد
والدّم المتّقد

من جنون القبائل
وبيروت بينهما بينهم طفلة خائفة
يا حسين أجبْ
كيف متّ؟
وكيف تموت؟
يا شيخنا وأبانا أجب
انّ كلّ الجهات
تلعب اوراقها الزائفة
وتملؤها في علب
من أرضنا النازفة
أيّهذا الجنوبيّ
انتشر في المدى
وأعلن الفرعنة
أنتم لأيادي التراب
ضدّ صوت الغراب
سقطت أقنعة
عن وجوه الذّئاب
سقطت أقنعة
ليس في الأرض
وبيروت تختصر الأزمنة
تعلـن الفـرس الجمـوح وآيـة الكرسـي والنفـط
المضارب
في محطات الصراع
غير ذاك العلم
راية لونها الدّم
يستشفّ المشاع
يغنّي الوداع
على جهة اجّرت لحية من قرون الموات
واستوت تعلن الهجرة البائدة
ليس في الارض
وأم المدن / تُمتـَهـَن/من الرّدّة الطائفة
غيرنا
يا أبانا الذي حفر من دمانا
وأفرج أجملنا
من تضاريس أيامنا المتعبة
ففتحنا الشراع
على القرمطي
ومن مال حين الزّمان استوى
على الفقراء وقال المشاع
هي الأرض أمّ لنا
والسلاح
قاضي القضاة
ومالك أيامنا
والعلاقة حين احتدام الصراع
أيهذا الجنوبيّ

تسعا وسبعين حولاً
وأنت تجوب البلاد
تنادي العباد
بان لا يصلّوا
لغير سواعدهم حين تغدوا قلاعْ
وانتشرْ في المدى وأعلن الفرعنة
أنتمي لأيادي التراب
ضدّ صوت الغراب
سقطت أقنعة
عن وجوه الذّئاب
سقطت أقنعه
لم تمت حينما جاء نعيك
كنا نعدّ النشيد
ونكتب آياتنا الرافضة
رغم انتصاب العسس
لحية ساقطة
تنهش من لحمنا والجياع
وتنادي يزيد
لتقتسم اللقمة الباقية
لم تمت
إنما كان لابدّ من دمك
كي نعرّي على الجثّة الخاوية
ونصنع تاريخ هذا البلد
أيهذا الولد
شيخَنا وابانا الذي انضجته المحن
صولجان المدن
انت ميراثنا
واتّصال المدى والرّؤى
لم تكن أرضنا عاقراً
فزنجيّها يتجدّد
رونديّها يتمدّد
وقرمطها مهرجان خطانا
فقم يا حسين العلم
دمك ينتقم
من زناة التواريخ والمرحلة
فهيّا الى الفقراء
هنا الملحمة
والقرمطيّ على ثأرك أقسم
نموت ولا ننثني
عن محاربة الطبقة الخائنة
فلأعدائنا دينهم
لأعدائنا دينهم
ولنا الفقر والفرعنة

***شـكري بلعيـد/ 1987/7/23 معتقـل «رجيـم معتوق» (جنوب تونس)**

حسين مروّة...
شيخ الماركسيين بجدارة

دائماً ما يكون قارع الباب ضيفاً ولكن قليلاً ما يكون لطيفاً، وتاريخ 17 شباط عام 1987 جنّد ضيفاً ليس لطيفاً أبداً وغير متوقّع وليس مرغوباً ولا مشرّفاً دخوله قلعة الفكر والعلم؛ في ذلك التاريخ قارع الباب جاء غريباً، جاهلاً، الغدر من صفاته، الإجرام والقتل أمانته.

قرع باب القلعة الفكريّة الماركسيّة ليدخل على أهل العلم والمعرفة بزيفه وسلاحه فأردى بانيها على فراش لطالما احتضن أحلامه بالتقدّم وألهم عقله فكراً وصفّى ذهنه من مصائب الدنيا الكادحة وأعطى خياله مساحة ليبدع في الأدب.

دخل وقحاً ليعدم راعيها وحاميها، لم يدخل بدافع السرقة ولا كان السبب هو النشل؛ على العكس تماماً، دخل القاتل ودافعه الحقد على الإبداع، ذلك الشعور الّذي لم تعرفه أخلاق الضحيّة، والخوف من العلم، الّذي كان يعشقه عقل المغدور، والجبن من مواجهة الحقيقة الّتي كانت تأكل من عمر الشهيد ليالي حتّى تتكشّف وتبان؛ أمّا السبب واضح وهو الجهل والغباء.

أعدمت اليد السوداء الظلاميّة اليد البيضاء الحالمة وأطلقت باتجاه رأس القلم رصاصة هي نفسها لم تكن مقتنعة بما تفعله، وانطلقت رغماً عنها لأن ليس باستطاعتها أن تتحكّم بزناد يخيّم عليه اللا شعور واللا إحساس واللا معرفة، لأنّها كانت تدرك أكثر من القاتل أنّها ترمي وتردي فقيراً كادحاً ودارساً دؤوباً للعلوم الدينيّة، ومجتهداً واسع الأفق، متمرّدٌ دائمٌ على الجمود واللا حركة في التحليل المادي للزمان والمكان، للتاريخ والأحداث والظواهر، وكاتباً أديباً منحازاً للناس والفقراء والكادحين والتقدّميين، لأنّها تعرف أكثر من المنفّذ أنّها تقتل مناضلاً وطنيّاً شارك في العديد من معارك الكفاح والنضال الوطني التحرّري، لأنّها تعرف أنّها تدمّر مدرسة رياديّةً قدّمت الكثير لحركة النقد الأدبي الواقعي العلمي، وبحثت عميقاً في التراث العربي الفكري والفلسفي معتمدة المنهج العلمي المادي، وخلّدت أسطورة فكريّة إسمها «النزعات الماديّة في الفلسفة العربيّة والإسلاميّة».

لم تكن تعرف أنّها تحرم العالم من قيمة إبداعيّة ثقافيّة معرفيّة ربطت نتاجها الفكري بالتفاعل الميداني والنشاط العملي في الحركة الكفاحيّة ومسارها النضالي، فبان بوضوح ذلك الذكاء المعرفي لهذه القيمة بالربط بين الفكر والممارسة العمليّة بتفاعلٍ جدلي - دياليكتيكي، فكانت دائماً حيث الكتابة يبدع قلمها وحيث العمل المباشر تصوغ المعرفة العلميّة، لم تكن هذه الرصاصة تعرف أنّها تقتل شيخ الماركسيين الشهيد المفكّر «حسين مروّة».

أيمن مروّة

رصاصات علمه

منطلقاً من خلفيتين عميقتين في الإسلام والماركسية افتتح حسين مروة عصر القراءة الحداثوية للتراث العربي الإسلامي كاشفاً القناعات الفقهية والدينية للصراع الاجتماعي وإحالة الصراعات الموضوعية إلى الماورائيات، بمنهجيته الماركسية واصلاً الماضي بالحاضر مجيباً على السؤال الحضاري الكبير تراثنا كيف نعرفه حدد حسين مروة معايير ذلك في معرفة الماضي من خلال الحاضر لأن في غير ذلك استحالة منطقية على حد تعبير الدكتور محمد عابد الجابري. من النجف تعرف حسين مروة إلى ماركس على حد قوله في حواره مع الأستاذ عباس بيضون فكان ثمار ذلك النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية مسلطاً الضوء على خبايا التراث، مبيناً المراحل المضيئة في تراثنا والأساس الاجتماعي للحركات التنويرية.

بحث في أساس الصراع الفقهي والعقائدي في الإسلام والذي ليس اللا صراعاً سياسياً بين بني هاشم وبني أمية. سلط حسين مروة الضوء على بذور الصراع الطبقي في ذلك الوقت والتي اتخذت اشكالا محددة في الوعي على شكل تيارات ومذاهب فكرية وامتداداتها إلى الآن.

أكرم قرنبش

بعدسة: وسام خوري